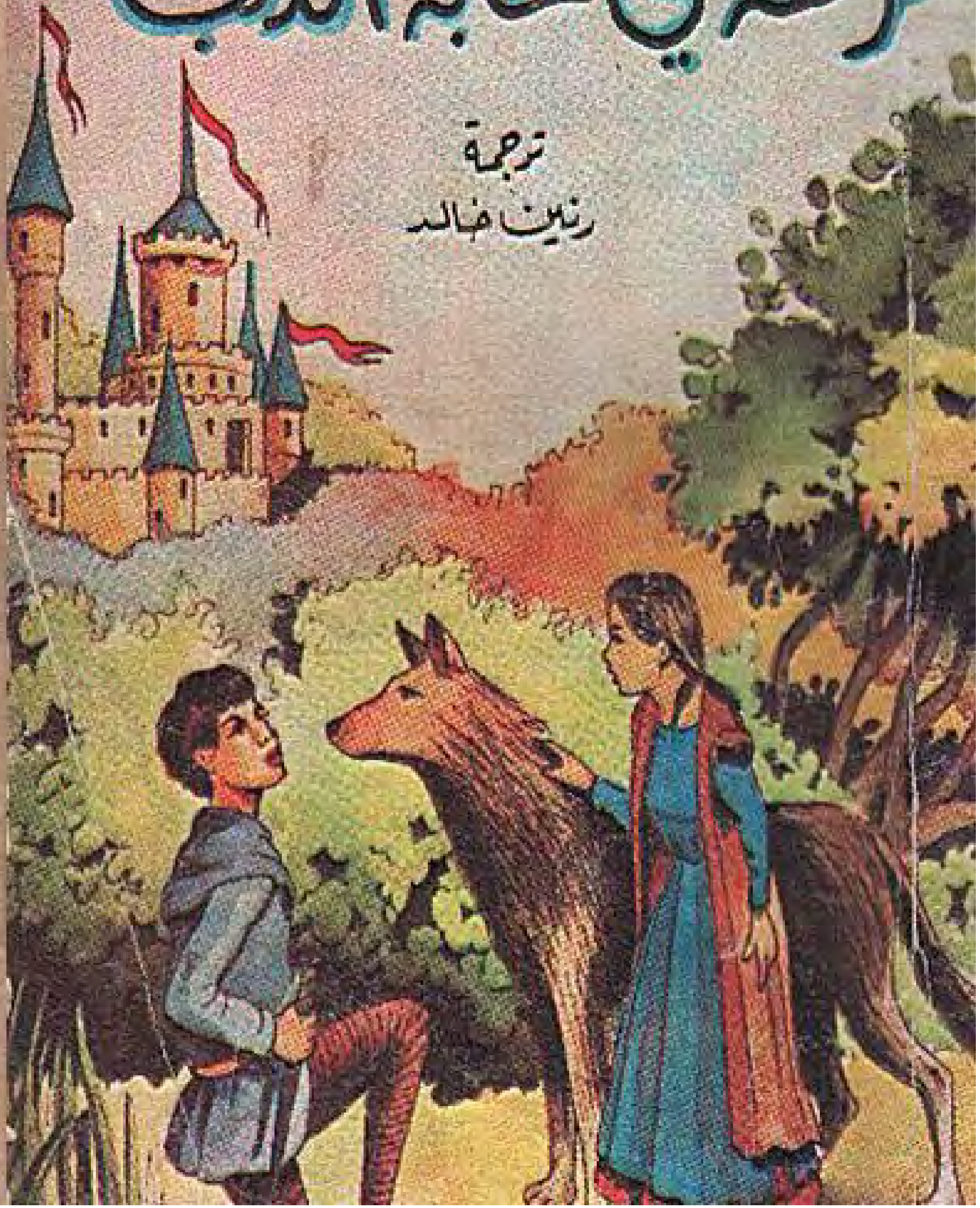
٣١

نزهة في غابة الذئب

ترجمة

رنين خالد



مكتبة المغامرات
٣١

نزهة في غابة الذئب

ترجمة

رنين خالد



١

كان جان ومارغريت يجلسان على سجادة بالقرب من ممر يؤدي الى اعماق الغابة السوداء في المانيـــا حينما مر بالقرب منهما رجل يبكي بمرارة · كان الاطفال بصحبة ابويهما اللذين يقومان بنزهة عند أطراف الغابة· فقد تركوا السيارة في الموقف المخصص لها بجانـــب الطريق العام وحملوا السجادة وحاجياتهم مشيـــا واستقروا قرب ممر عريض ذي انحدار شديد يبدأ من الطريق العام ويستمر بانحداره لمسافة طويلة في أعماق الغابة الكثيفة الاشجار ·

أما المنطقة التي افترشوها فكان العشب يصل حد الخصر فيها وهناك أيضا شجرة ضخمة جدا عند رأس المنحدر وبالقرب منها قطعة قديمة خشبها متآكل تشير باتجاه الغابة المظلمة · والشمس ايضا افترشت الارض في كل مكان مفتوح ·

عند النظر باتجاه الغابة من مكانهم بدت الاشجار التي في العمق اكثر نحافة من تلك القريبة منهم · وكانت الشمس تخترق الاغصان العالية جدا وكأنها خيوط ذهبية وكلما ابتعدنا عن الاطراف كلما زادت ظلمة الغابة اذ ان كثافة الاغصان تمنع دخول اشعة الشمس ·

هناك ايضا نهر صغير يخترق الغابة · ينبع من تلال صخرية تظهر عند قمتها اثار قصر كبير كانت عائلة بكبي قد زارته صباح هذا اليوم · بامكانهم من موقعهم ان يشاهدوا الجسر الخشبي الضيق الذي يؤدي الى كشك التذاكر حيث ابتاعوا تذاكر الدخول الى القصر وكذلك صورا تذكارية للقصر والمنطقة المحيطة به ·

وما عدا هذا المنظر فاينما نظرت لاتجد الا اشجارا ·· واشجارا ··واشجارا · كانت الغابة هادئة جدا ، والسيد بكبي كان قد اخذ غفوة بعد وجبة الغداء ·

اما السيدة بكبي فقالت بانها ذاهبة الى السيارة لتجلب كتابا تقرأه لتمضية الوقت · ولكن السيدة بكبي تأخرت وساور الاطفال شك بانها قد تكون هي ايضا قد نامت في السيارة من جراء حرارة الصيف الشديدة ·

لم تمر اية سيارة ولم يمر احد من هذا الطريق حتى وهذا الرجل الغريب المظهر · كان يمشي بسرعة ورأسه متدل وبالرغم من ان المسافة بينه وبينهم كانت لاتزيد على المتر فلم يرهما وحتى انه لم يلاحظ وجود احد على الاطلاق ·

نظر الطفلان الى الرجل وعلى وجهيهما علامات الدهشة ، والاضطراب · اذ لم يشاهدا في حياتهما رجلا يبكي والى جانب ذلك فهذا الرجل لم يبد مباليا فيما لو شاهده احد او سمعه يبكي · كان يصدر شهقات متقطعة وكان يتعثر بين خطوة واخرى وكأن الدمع

قد اعمى بصره ومع ذلك لم يحاول منع دموعه ومن كثرة الدموع فقد ابتل معطفه المخملي الباهت الحمرة .

كان هذا شيئا اخر يثير الدهشة والانتباه فالبدلة التي كان يرتديها غريبة جدا . كان عمره وشكله لايتناسبان مع الملابس الفنطازية التي كان يرتديها . معطفه يصل اعلى فخذيه ، ويبدو ان لونه كان داكن الحمرة عندما كان جديدا . اما بنطلونه او بالاحرى الجوارب الطويلة الملتصقة بساقيه كانت زرقاء اللون ، والجزمة بنية اللون بنفس لون الحزام الذي كان يحيط بخصره النحيف . وفوق هذه الملابس ارتدى عباءة زرقاء اللون تميل الى الرمادي ، تتصل بها قبعة مرتدة الى الوراء مثل الياقة . ورغم ان ملابسه كانت غريبة لكنها اعطت انطباعا بانها كانت في يوم ما باهظة الثمن وجميلة . اما الان فهي مهلهلة ومتسخة

« ولديه سكين ايضا » ، قال جان بصوت خافت كي يوقظ والده ، « هل رأيت ؟ لديه سكين معلقة بحزامه » .

« نعم » قالت مارغريت « ولكنها جزء مكمل لزيه اليس كذلك ؟ اتذكر الراقصين الذين شاهدناهم في سانت جوهان حين كانوا يرتدون زي الفلاحين الشعبي فالرجال يحملون سكاكين مثل تلك . انها ليست حقيقية اعني انها ليست للاستعمال » .

« اعتقد ذلك ولكن ملابسه لاتشبه ملابس الفلاحين ابدا . فاقل فرق هو ان ملابسه تبدو قديمة وكأنه يرتديها كل يوم

قال جان هذا ولكنه كان غير متأكد من كلامه أو مما يفكر به .

« ربما يكون حطابا او شيئا من هذا القبيل » ؟

« لا اعرف . هل شاهدت السلسلة المعلقة حول رقبته وتلك المدالية الكبيرة المتصلة بها ؟ تبدو انها مصنوعة من الذهب . فلماذا يرتدي الحطاب مثل هذه المدالية ؟ » .

« مجرد تقليد لتتماشى مع الزي » ٠

« ولكنه لم يكن زيا ٠ الم اقل لك » ٠٠

« تقليد على أيه حال » قالت مارغريت وهي مصرة على رأيها « لايمكن ان تكون مصنوعة من الذهب ،ليس بهذا الحجم على الاقل ٠ لو كانت حقيقة من الذهب لكانت قد كلفت ثروة طائلة ولم يبد عليه انه غني » ٠

« لا ، ولم يبد عليه انه فلاح ايضا ٠ قال جان باصرار مظهره يذكرني بشيء ما ولكنني لا أستطيع ان اتذكر ماهو ٠ ومهما كانت هويته فهو يشبه ٠٠ » وتوقف مرة اخرى عن الكلام ليفكر بحثا عن الوصف المناسب ولكن كل ما أستطاع ان يقوله هو « مظهره غريب جدا » ،

« ليست فقط ملابسه ٠ انما هو غريب ايضا » ٠

« تعني انه كان يبكي » قالت مارغريت « حتى انه لم يرنا وكأننا لم نكن هنا » نظر الطفلان الى بعضهما ٠ كان السيد يكبي مازال نائما بجانبهما والهدوء سائد من حولهم ٠ طارت حمامة من مكانها وصاح هدهد من اعلى شجرة اخرى ٠ وزقزقة

العصافير تسمع من كل مكان ٠ كانت حرارة الجو تدعو الى النوم والحذر ٠ ولو ان كل شيء يبدو ساكنا ولكن في الحقيقة اذا استلقيت ونظرت من حولك ستلاحظ بان هذا السكون مكون من الاف الاصوات الصغيرة جدا والتي قد تكون نتيجة لنمو الاشجار او تفتح الازهار او حتى حركة الهواء الذي تتنفسه ،الاصوات التي تصدرها انواع عديدة من الحشرات الصغيرة والكبيرة والمختلفة الالوان ٠

لم ينتبه الاطفال الى كل هذه الاصوات ٠ فمازالا ينظران الى بعضهما الاخر ٠وكما يحدث في بعض الاحيان مع الناس الذين يعرفون بعضهم فقد احسّ كلاهما بماذا كانا يفكران ٠

« حدث له شيء رهيب » ، قال جان بصوت منخفض « ليس حادثا اعتياديا – او أصيب بجرح ما – ولكنه غير مجروح – ومهما يكن لابد انه حادث مؤلم »

« كان يكون مجروحا في اعماقه ، قالت مارغريت » وينزف ببطء حتى الموت من دون ان يخبر احدا ٠ وهز

جان رأسه مؤيدا كلام مارغريت .

جان اكبر سنا من مارغريت وربما اقل خيالا منها بدت عليه ملامح الشك . لابد ان الرجل كان قد اصابه شيء مؤلم جدا ، مؤلم جدا ، مؤلم الى درجة لم يعرف ماذا كان يفعل او حتى الى اين هو ذاهب . وغاب الرجل بين ظلال الاشجار وكانه كان حلما او شبحاً .

ولكن لم يكن بامكانهما ان يزيلا منظره من خيالهما . كان باعتقادهما انه من الخطأ ان يتركاه يختفي هكذا دون ان يقدما له يد المساعدة . ليس بامكانهما بالطبع ان يفعلا شيئا معينا ولكن على اية حال ... « بامكاننا ان نتبعه قليلا » اقترحت مارغريت « لمجرد ان ترى الى اين هو ذاهب » .

مارغريت لم تقل لماذا ، وجان لم يسأل عن السبب كلاهما لم يستطع ان يفسر الشعور المفاجيء الذي انتابهما . احساس غريب ساورهم يجب ان يتبعا هذا الرجل الى اعماق الغابة . لو كان في وضع طبيعي لما اهتما لعدم رؤيته لهما بل لكانا فرحين اما الان كانت

هناك قوة تحاصرهما . نهضت مارغريت من الارض ، اما جان الذي هو اكثر حذرا منها في كثير من الامور لم يتردد الا لحظات ثم نهض هو ايضا .

فكرا معا لحظة او لحظتين . كان السيد بكبي يغط في نوم عميق وتذكرا بوضوح كيف كانت والدتهما تقول لهما بان والدهما كان يعمل طوال النهار ولذلك يحتاج الى الهدوء والنوم المريح ولذلك كانت تدعوهما للعب خارج المنزل او بعيدا عنه عندما يكون نائما في فترة بعد الظهر .

ثم قررت مارغريت « لا اعتقد انه من الصحيح ان نوقظه الا اذا تأكدنا من وجود خطر ما . فهم دائما يقولون لنا بان لا نزعجه وخاصة عندما يكون نائما الم يقولوا لنا بان نلعب بعيدا عنه هذا اليوم بالذات ؟

« ولكن ليس بعيداً جدا » .

« حسنا ربما لن يذهب الرجل بعيدا عن هذا المكان ، ومن الواضح انه لايوجد غير هذا الطريق . واذا افتقدونا سيعرفون باي اتجاه يفتشون عنا » .

« حسنا ، ولكن على الاقل لنكتب لهم ورقة تخبرهم باي اتجاه ذهبنا »

وهكذا ومن دون ان يفعلا ما يغضب والديهما كتبا ملاحظة ووضعوها بالقرب من مكان نومه وعلقوها على الشجرة الكبيرة ٠ ومن دون ان يحدثا صوتا ابتعدا على اطراف اصابعهما متجهين نحو اعماق الغابة المظللة خلف ذلك الرجل الغريب ٠



٢

استمر الممر بانحداره الشديد في داخل الغابة لمسافة قصيرة نسبيا ٠ ومع اول استدارة بدأت الارض تأخذ شكلا اخر ٠ اخذت الارض تتسطح كلما تقدم الطفلان في طريقهما ٠ الاشجار اصبحت اكثر كثافة واختفت بعض الانواع منها : الا ان النوع السائد كان من اشجار الصنوبر الطويلة الجذع والمتشابكة الاغصان الارض ايضا اصابها بعض التغير ٠ فالوان الازهار كانت كالوان الطيف الشمسي ولكثرة انواعها بدت الدهشة على وجه مارغريت وجان ٠ اوقف مارغريت منظر زهرة جميلة بيضاء اللون عليها نقاط سوداء ٠

« لا تلمسيها ! » صاح جان محذرا اخته قبل ان تتقدم نحو هذه الزهرة ٠

« لن افعل ! ولكن اليس مضحكا ان نرى هذه الانواع من الزهور هنا في هذه الغابة في حين اننا لم نسمع عنها الا في القصص ؟ ربما لانها جميلة جدا ، هذا ما اعتقده ، ولكن لو نظرت الى بقية الازهار عن كثب لوجدتها كلها جميلة دون استثناء » .

« جان الا تسمع ! » .

« ماذا » :

« الا نعود الان ؟ يبدو وكاننا مشينا مسافة طويلة ولم نعثر على اثر له »

« ربما علينا ان نعود . انظري هناك شجرة ساقطة على الارض في منتصف الطريق عند تلك الانحناءة لتصل حتى هناك ثم نعود » .

والشجرة التي تكلم عنها جان كانت على درجة كبيرة من الضخامة . ركض الطفلان باتجاه الشجرة وحين وصلا عرفا بان الطريق يستمر بلا نهاية . كان الطريق يبدو وكانه نفق اسود يقع بين اعمدة سوداء . ضرب جان جذع الشجرة بقدمه وقال « لابد

انه جاء بهذا الاتجاه اذ لايوجد غير هذا الممر ولا اعتقد بأنه التف حول الشجرة اذ ان المسافة طويلة . لابد انه تسلق جذع الشجرة ليعبر الى الجهة الاخرى . انظري ارى اثار اقدام هنا وكذلك اثار ارجل كلب . هل كان معه كلب ؟ لم ار كلبا ؟

« ولا انا » قالت مارغريت وهي تنظر من فوق كتفه . وحقيقة كانت هناك اثار اقدام واضحة جدا وبالقرب منها اثار ارجل كلب . ويبدو ان الكلب كان كبيرا جدا فاثار اقدامه اكبر من اقدام الكلب « تري » . وتري هو كلبهم الذي تركوه في البيت وهو من الكلاب التي تنحدر من سلاله الذئاب .

« اذن ربما هو ذئب » قال جان ذلك وقد امسك غصنا وراح يحاول ان يتسلق جذع الشجرة لينتقل الى الجهة الاخرى » .

« نعم لقد تسلق من هنا . يوجد بعض الطين العالق بالجذع هنا ولابد ان تكون الذئاب موجودة في هذه الغابة ولهذا فهو يحمل معه سكينا » .

نظرت مارغريت من حولها باضطراب · فقد كانت تعرف بانه يمزح ولكن في غابة كبيرة مثل هذه لابد أن الذئاب منتشرة فيها وهي فكرة ليست بالغريبة · «وماذا تعني بكلمة لابد » عبس جان وجهه وهو يحاول التوازن فوق جذع الشجرة وقال لها « الا تتذكرين حين كان ابي يخطط لهذه الرحلة وقال وهو يتفحص خريطة المنطقة بان الغابة اسمها « لفنفالد ؟ » ·

لم يظهر اي تعبير على وجه مارغريت فلم يكن للاسم اي وقع عندها · كانت تريد ان تقول شيئا ولكن ما ان بدأت حتى قاطعها جان بقوله :

« الا تفهمين انها تعني غابة الذئب بالالمانية » ·

« اه »

« وهذا ما كان مكتوبا على القطعة ، الم تلاحظي ذلك ؟ »

« لا »

« ولذلك يجب عليه ان يحمل سكينا »

« ولكن اذا كان حقا ما تقول افلا يكون من الافضل

له ان يحمل بندقية ؟ »

« مع ذلك الزي ؟ قوس ونشاب يتلاءم مع زيه بشكل افضل ! الان عرفت بماذا يذكرني منظره · انها هنا انظري ! »

وبدا جان ينزل من جذع الشجرة في الجهة الاخرى ·

« ما هي »

« انظري ، هل تستطيعين التسلق · تعالي وانظري · لا تخافي لقد كنت امزح بشان الذئاب ، هل تستطيعين المجيء الى هنا بسرعة ؟ »

وفورا بدات مارغريت بتسلق جذع الشجرة الكبيرة وقفزت الى الجانب الاخر من الجذع واشار جان الى اثار الاقدام ·

فنظرت مارغريت وشاهدت شيئا يلمع بين الاغصان المتكسرة عرف الطفلان بان ما يلمع هو المدالية والسلسلة الذهبية التي كانت معلقة حول رقبة الرجل الغريب المظهر ·

بدات مارغريت تتكلم بصوت خافت وكانها تكلم نفسها ، « ربما سقطت المدالية وهو يتسلق جذع الشجرة ولما كان يبكي » .. « لم يلاحظ سقوطها ولن يعرف اين فقدها » اكمل جان حديث مارغريت والتقط المدالية من الارض ونفض عنها التراب قائلا :

« انها ثقيلة » .

« ارني ما مكتوب عليها » .

كانت المدالية تلمع رغم ان ضوء النهار بدأ يخفت . كانت هناك صورة شاب شعره يصل حتى كتفيه وتحت الصورة الاسم « أوثو » محفور عليها . اما الجهة الاخرى فكانت كلمة « فيديليس » وحدها محفورة على الميدالية .

« ان الرجل الذي شاهدناه ليس اوثو ، انه لايشبه هذا الشاب » قال جان ذلك وهو يفكر « ان كلمة « فيديليس » كلمة لاتينية ومعناها الاخلاص . اعرفها لانها مكتوبة في شعار المدرسة » .

اما مارغريت فكانت معجبة بجمال الميدالية وكانت

تقارنها مع سوار امها الذهبي وتوصلت الى قرار فقالت :

« ان هذه الميدالية مصنوعة من الذهب فهي ثقيلة ومعدنها يشبه معدن سوار امي الذهبي » .

قال جان وهو يقلب المدالية بين يديه :

« انها ثقيلة حقا وربما كانت فعلا من الذهب »

« اذا كانت ذهبية فهي غالية الثمن وحتى ولو لم تكن اعتقد بان الرجل سيفتش عنها . ربما علينا ان نلحق به ونعيدها له ؟»

هز جان رأسه موافقا وقال : « ربما احس الرجل بانه فقدها وهو الان في طريق عودته ليفتش عنها . لنتقدم قليلا ربما نلاقيه » ..

حسنا قالت مارغريت « ولكن لنركض كي لانتأخر سوف يحل الظلام قريبا والغابة بدأت تظلم من الان » .

« هذا لان الاشجار كثيفة فالشمس مازالت عالية لا تقلقي لنصل حتى تلك الاستدارة واذا لم نره نعود وماذا نفعل بالمدالية ؟ »

« سوف نعطيها لابي وهو سيعرف ماذا يفعل :

« اراهن على انه منزل ذلك الرجل » قال جون :

« لابد انه كان عائدا الى المنزل » .

« وسنواجه ترحيبا حارا جدا » قالت مارغريت :

« انظر . فقط انظر هذه ليست ستائر انها من نسيج العناكب وهذه الباب لم تفتح منذ عصور والشبابيك خشبية قديمة » .

« ولكن القرويين عادة يستعملون الباب الخلفي للمنزل » قال جان ذلك وهو يشك بصحة قوله :

« على اية حال يجب ان نعيد له المدالية تعالي لنر اذا كانت الباب الخلفية مفتوحة . وحتى اذا لم يكن هذا منزله لابد ان ساكنيه يعرفون اين يسكن ذلك الرجل » .

« لندق الباب الامامية اولا » قالت مارغريت :

دق جان الباب بالمطرقة المغطاة بالصدأ .

دقها مرة اخرى وبقوة لعلهم يسمعون .

ربما نرجع غدا نقدمها له او يعطيها للشرطة » .

بدأ الطفلان يركضان باتجاه الاستدارة وحين وصلا لم تكن الا انحناءة صغيرة تبعتها عدة انحناءات اصبح الممر اكثر ضيقا واكثر تعرجا وجذور الاشجار واضحة فوق الارض ، وكانها حبال ملتفة على الارض وبين الاشجار . تعثرت مارغريت ولكنها سيطرت على نفسها فلم تسقط وتوقفت . اما جان فلم يلاحظ ذلك واستمر يركض امامها . فصاحت به :

« جان ! جان ! دعنا نعد » لم يجبها جان . وقبل ان تشعر بالخوف بلحظات سمعت جان يقول : « لاتخافي انه هنا تعالي وجدت منزلا هنا » .

ركضت باتجاه اخيها فوجدته ينتظر . كان جان يقف تحت اشعة الشمس في فسحة المنزل المليئة بالازهار المزروعة هنا وهناك . ويبدو ان حديقة المنزل قد اهملت فالحشائش البرية تملأ الحديقة والنباتات المتسلقة تكاد تغطي المنزل فاكتشاف جان للمنزل كان معجزة .

٣

لم يجبه احد · كان السكون يخيم على المكان وكلما دق جان الباب سمعا صدى السكون بوضوح · كانت اصوات اخرى تاتي من هنا وهناك · ومع ذلك فقد انتابهما شعور بان هناك من يراقبهما ·

« انه ليس هنا » قال جان بصوت مرتفع وكانه يريد ان يسمعه احد · قالت مارغريت وكانها متاكدة من ان البيت مسكون · « ربما هو خائف ولذلك فهو لايجيب » ·

« ولكن هذا غير معقول فلماذا يخاف » ·

« اذا عشت انا في مكان مثل هذا لشعرت بالخوف ايضا وخاصة اذا جاء احد في وقت كهذا يدق الباب » ·

« حسنا » قال جان : « ولكنه رجل كبير و ـــ » ·

« وانا مجرد فتاة صغيرة ؟ » اه طبعا ! ولكنني لم اقصد هذا ·

ربما لايريد ان يفتح الباب · لقد كان يبكي لا تنس ذلك ·· تردد جان في اجابته » نعم فهمت ما تعنين اذا لم يجب خلال دقيقة سنذهب الى الباب الخلفي واذا لم يكن هناك جواب سنعود من حيث جئنا · هل توافقين » ·

« نعم » ·

كان هناك على ما يبدو اثار ممشى صغير حول الكوخ يؤدي الى الجانب الخلفي من البيت ولكن الحشائش والفطريات غطته فلم يبق الا اثر صغير له · مشى الطفلان بهدوء وحذر حول البيت متجهين نحو الباب الخلفي · في جانب الكوخ يوجد بئر قديم وكانه لم يستعمل منذ سنين طويلة · وصل الطفلان الى خلف الكوخ · كانت الظلال تخيم على المكان الا بقعة صغيرة عند المدخل سقطت عليها اشعة الشمس · كانت

الشبابيك غير مصبوغة ولكنها نظيفة ومن خلالها شاهد الطفلان ركنا من الغرفة المفروشة باثاث غير مألوفة بالنسبة لهما · اذ يبدو وكانه يعود الى عصر غير عصرهم وحين شاهدا صليبا معلقا على الحائط فوق الموقد اطمأنا لاصحاب الدار وقررا الدخول ·

امسك جان ذراع مارغريت واشار الى ركن في الغرفة · وقفا في مدخل الكوخ الضيق · كانت الباب نصف مفتوحة · دق جان الباب فلم يجب احد · عندها دفع جان الباب برفق واصبح بامكانهما ان يشاهدا الغرفة باكملها ·

كان واضحا ان هذه الغرفة تستعمل للجلوس والنوم في ان واحد · وضع فراش النوم في احد الاركان وعليه كومة من البطانيات وعلى الحائط فوق الموقد علق رف عليه بعض القناني والاواني وفي الوسط وضعت منضدة خشبية عليها وعاء واوان من الفخار الداكن اللون · اما الموقد فلم يحو غير الرماد البارد·

لايوجد احد في الكوخ ويبدو ان المكان لايستعمل

كثيرا اذ ان الغبار يغطي معظم الاشياء ·

« حسنا » قال جان وهو مسرور : « اذن تم حل المشكلة ، اذا كان الرجل يعيش هنا ، فقد عاد وخرج واذا لم يكن هذا كوخه ــ » ·

« ولكنه كوخه » قالت مارغريت والدهشة تعلو وجهها ، هذه ملابسه على الفراش انظر ! »

كانت كل ملابسه موضوعة على الفراش وكأنه استبدلها ببدلة اخرى حتى جزمته كانت على الارض والمعطف والسكين ايضا ·

فقالت مارغريت وهي متأكدة من نفسها · « عرفت من البداية بان هذه الملابس للمرح والمناسبات فقط · فقد خلعها ليرتدي لباسه اليومي » ·

« حسنا » قال جان وهو يضع المدالية فوق الملابس : « سوف يعود ليجدها هنا · لنعد الان فقد استغرقنا وقتا اكثر مما نوينا ، ربما ابي قلق الان او غاضب وقد نلاقيه في الطريق هيا بنا الان » ·

بعثت هذه الفكرة السرور والراحة في نفسيهما

فقد اخذ الظلام يشتد والجو مازال دافئا ولكن سكون الغابة اعمق مما كان عليه . اختفى صوت الحشرات والطيور لم تعد تزقزق .

ما عدا البوم . فقد بدأت تصيح وتجيبها اخريات من هنا وهناك . لم يكن صياحا عاديا وانما يبعث على الخوف وكأن جريمة ما سوف تقع بين لحظة واخرى . والوحوش متربصة مترقبة قابعة في اماكنها تنتظر اللحظة والفرصة المناسبة لتنقض على الفريسة .

« هيا بنا » صاحت مارغريت وسحبت يد جان الى باب الكوخ . « ربما توقفت ساعتك عن الدوران . هيا بنا نعود ! »

صرخت مارغريت . اما جان فلم يصرخ ولكنه شهق بلا نفس . تراجع الطفلان وهما يمسكان بعضهما حتى وصلا حافة الفراش .

وفي مدخل الكوخ ، شاهدا عينين صفراوين تحدقان فيهما ولسانا طويلا متدليا بين فكين كبيرين ، كان ذئبا .

لم يكن ذئبا عاديا هذا الذي يقف عند المدخل وانما ذئب ضعف حجم الذئب العادي .

٤

تسمرت قدما الطفلين بسبب الرعب الذي انتابهما . خفض الذئب رأسه ورفع شفته العليا . كانت انيابه بيضاء ناصعة وطويلة . لم يصدر اي صوت ولكن شعر جلده ارتفع .

كان على وشك ان يقفز . تقلصت عضلاته .

كانت هذه اللحظة المرعبة تبدو وكأنها لن تنتهي .

وقبل ان يتحرك الذئب صاح جان ـ صيحة وحشية ومد يده وامسك بأقرب شيء يمكن ان يرميه ورماه على الذئب . هذا الشيء لم يكن الا المدالية الذهبية . واحس الطفلان في هذه اللحظة ان جان رمى الشيء الذي جعلهما يأتيان الى هذا المكان . لم يعد بمقدورهما ان يفعلا شيئا فقد هرب الذئب فزعا وقد تعلقت به المدالية .

ركض جان ليغلق الباب . وبسبب سرعة المواقف هذه تصور الطفلان بان الذئب لم يكن الا شبحا .

وجدت مارغريت ان بأمكانها ان تتحرك فاتجهت نحو الباب فوجدت خشبة طويلة وضعتها خلف الباب لتغلقها « بسرعة جان ! الشباك ! اغلق الشباك ! »

« هذا لن يفيد » ولكنه ذهب واغلقه « يجب ان نجازف ونخرج » .

« ولكن ربما يعود الذئب مرة اخرى ، او ربما ياتي ابي لنجدتنا اذا بقينا — » .

« هذه هي المسألة الا تفهمين ؟ لانستطيع ان نجعله ياتي وهو لايعرف بوجود الذئب رغم ان اسم الغابة يدل على ذلك » .

« سيرى الاثار » قالت مارغريت ولكن دون ان تشعر بالامل .

« لقد رأيناها لاننا كنا نتبع الرجل . اما الان فالظلام سيحل عن قريب وحتى لو راها فلن يعود بل سياتي الينا . اسمعي بامكاننا ان ناخذ شيئا نحمي

انفسنا به وسوف نركض والى جانب ذلك ... »

توقف جان عن الكلام وادار بنظره بعيدا عن مارغريت

ماذا !؟ سألت مارغريت

اجاب جان مترددا « ألم تلاحظي شيئا غريبا بشأن الذئب ؟ »

لم يدع جان مارغريت تجيب بل اجاب هو قائلا:

« شعرت ان الذئب كان خائفا »

« لماذا ظننت الذئب خائفا أو متوحشا ولكن حين ترمي عليه مدالية ذهبية طبعا يخاف ويهرب »

« كلا لكنه كان سيهرب قبل أن أرمي عليه المدالية الم تر ذلك ؟ هل كان ذئبا حقيقيا ؟ ربما كان كلبا يعود لذلك الرجل »

« سيكون كلبا احمق اذا ركض بهذا الشكل ، خائفا من طفلين دخلا كوخ صاحبه » .

« اذن فهو ذئب احمق ايضا » قال جان « سواء اكان كلبا ام ذئبا لا اعتقد انه مخيف ، ولذلك اقترح ان نعود بسرعة بدلا من البقاء هنا » .

لنأخذ معنا شيئا نخيفه به اذا عاد مرة اخرى» .

وفيما كان يتحدث كان ينظر من حوله ليفتش عن شيء يستعمله كسلاح . وجد عصا طويلة في ركن الغرفة قرب الباب ..

« انظري هذه العصا الثقيلة ستنفع . فتشي عن شيء لكي ـــ » .

« هذه افضل » . قالت مارغريت وهي تأخذ سكين الرجل من على فراشه .

« هذا مضحك ، لقد خرج الرجل بدونها » . كانت ترى وجه جان وكأنه يتمنى لو رأى السكين قبل ان تراها هي . فقالت : « احتفظ انت بالعصا اما انا فالسكين لي » .

« لكنك لم تستعملي سكينا من قبل » .

« ولا انت ، الا على مائدة الطعام » .

ضحك الاثنان واعتبرا هذا الحوار وكأنه طرفة ، ولكنه في حقيقة الامر كانت اعصابهما متوترة .

استعد الطفلان للخروج والمجازفة ولكن مارغريت قالت :ـ

« وماذا بشأن الدالية ؟ لن يكون بامكاننا ان نجدها الان » .

« سوف نخبر ابي بالموضوع ونأتي لنفتش عنها غدا وكذلك لنعيد العصا والسكين . هيا بنا الان لنرى اذا كان الطريق خاليا وبعد ذلك نركض بسرعة » .

تسللا خارجين من الدار وتركا الباب الخلفي مفتوحا كما وجداه ، ادار جان بصره فلم ير شيئا ولم يسمع اية حركة . وهكذا ركض الطفلان بعيدا عن الكوخ . حواسهما كلها يقظة يملأهما امل العودة الى الطريق العام بسلام . لم يتكلم احدهما حتى ولو للتعبير عن التعب .

حين وصلا الى المنحدر لم يشعرا بصعوبة تسلقه اذ ان الخوف كان مسيطرا عليهما .

واخيرا وصلا اعلى المنحدر .

نعم انها نفس المنطقة التي فرشوا عليها السجادة ومنطقة وقوف السيارات تبعد عنها قليلا . نعم هذا هو نفس المكان . استرجعا انفاسهما ونظرا من حولهما انها نفس الاعشاب نفس القطعة الخشبية وذات الشجرة الكبيرة التي وضع جان عليها الورقة .

ولكن لا اثر للسجادة ولا اثر للوالد ولا توجد سيارة ، لاشيء على الاطلاق .

نظر احدهما الى الاخر كان الظلام يخيم على المكان فلا يمكن تمييز اي شيء .

ركضا نحو الطريق العام باتجاه القصر . لم تكن هناك قطعة تشير الى القصر او باتجاه القرية وحتى الطريق اصبح ضيقا وغير واضح المعالم . شاهدا ضوءا خفيفا في الوادي ولكن المسافة طويلة ومتعبة فلم يفكرا بالذهاب هناك . والفندق الذي نزلا فيه ليلة امس بعيدا ايضا . فلم يكن باستطاعتهما

الذهاب اليه . وكل ما يمكن ان يستنتج هو ان والديهما قد غادرا المكان تاركين طفليهما في هذه المنطقة الموحشة المعزولة .

كانت مارغريت تصارع رغبة في البكاء ، كل شيء سيكون على ما يرام ولكن بعد ان وصلا شعرت بالتعب الشديد والجوع والخوف . وجان رغم انه حاول الا يظهر مشاعره أصابه الخوف واليأس ايضا .

منذ دقائق فقط كان يحس بالشجاعة والقوة بعد ان جعل الذئب يهرب ولكنه الان جائع ومتعب . حين تكلم استجمع كل ما تبقى لديه من شجاعة لكي يبدو مرحا كما يجب ان يفعل الاخ الكبير .

« لابد انهما ظنا اننا ذهبنا في الطريق المعاكس وذهبا للتفتيش عنا . سيعودان قريبا » .

« ربما جئنا الى هذا المكان بالخطأ » .

« لا انه المكان الصحيح . انظري اليست تلك هي الورقة التي تركناها لابي ؟ هكذا اذن انه لم يشاهد

الورقة لذلك ذهبا ولكني كنت اظن ـــ ، مارغريت انظري ! »

ولشدة الفرحة تغيرت نبرة صوته فقد وجد قطعة شوكولاته كبيرة . ربما سقطت من السجادة حين كان السيد بكبي يرفعها من على الارض .

« اه ، ها هي اذن ، كنت اظن انني فقدتها حين نزلنا السيارة يا لحسن حظنا . الا تشاركني ؟ »

اقتسما قطعة الشوكولاته واكل كل واحد منهما نصف حصته واحتفظا بالبقية .

قال جان وهو يفكر :ـ « ابي لم ير الورقة واعتقد انهما ذهبا للبحث عنا في الطريق العام وحين يصلان الى الفندق يعودان الى هنا ولذلك اقترح ان نبقى هنا لحين عودتهما .

هذا ما يحدث عادة لمن يتيه في الجبل او في الغابات .. اذا كنت تعرف ان الناس ستاتي لنجدتك ابق في مكانك . هذا ما ينصحون به عادة . لا تقلقي سوف يجدوننا . اما بشان الذئاب فلا اصدق بوجودها

وما رأيناه هو كلب كبير . وما دمنا قرب الطريق العام فسنكون في امان لحين عودتهما » .

وماذا سيحصل اذا لم يأت احد ؟ » .

« لابد انهما سيعودان ، ربما حصل شيء ما مثل مرض مفاجيء لامي او شيء من هذا القبيل واذا لم يعودا حتى الصباح سوف نمشي الى القرية وقد نرى سيارة تذهب باتجاه القرية فلا تقلقي » .

بعد الخوف والتعب الذي اصابهما وكذلك خيبة الامل والدهشة لعدم وجود والديهما قررا الجلوس بين الاعشاب الطويلة فعملا حفرة في الاعشاب وجلسا بالقرب من بعضهما متكلمين بصوت منخفض .

بعد فترة قصيرة توقفا عن الكلام متأملين عودة السيارة لاخذهما الى الفندق .



٥

حالما سمعا صوت البوق استيقظا . كان صـوت البوق عاليا وله صدى . صداه اخترق زرقة السمـاء الصافية وهواء التلال مسافر معه حول الوادي مثـل صحية الريح العاتية .

جلسا مبللين في رطوبة الندى يفركان عيونهما وكانهما مازالا في حلم لم ينته محاولين تذكر ماحدث اين وكيف .

وفجاة بدت الصورة واضحة في اذهانهما . تذكرا انهما كانا في نزهة مع والديهما في غابة الذئب وحين عادا من الغابة كان والداهما قد اختفيا . وقفا ينظران من حولهما دون ان يتكلما وهما في حالة من اليأس الشديد .

كان الوقت صباحا ولكن الشمس لم تشرق بعد ، وحين سمعا صوت البوق مرة اخرى شاهدا مجموعة من الفرسان تتقدم بسرعة من جهة قرية سانت جوهان . تتقدم بسرعة من جهة قرية سانت جوهان . وبقدومهم امتلأ الجو بالصياح والضحك ونباح الكلاب المرافقة .

« انها مجموعة صيد » صاح جان ساحبا يـد مارغريت : « تعالي ربما وجدنا احدا ـــ » .

وقبل ان ينهي جملته كانت المجموعة قد اقتربت منهما ومر بسرعة البرق حيوان ربما كان ذئبا . تمكن الطفلان من رؤية العينين الكبيرتين وعرفاها علـى الفور . وصلت الكلاب وعدد من الفرسان الى الطريق العام واقترب منهما رجل ظنت مارغريت انه سـوف يسأل عن وجودهما هنا في هذا المكان والزمان . لكنه لم يقل غير « باي اتجاه ؟ »

« هناك من ذلك الطريق » اجابت مارغريت علـى الفور . لم تدرك مارغريت لماذا قالت . ذلك ان انهـا وجهت مجموعة الصيد باتجاه معاكس . « اذهبوا بسرعة

لقد مر من هنا منذ دقيقة » قالت مارغريت وعندئذ اخرج الرجل قطعة نقدية ذهبية ورماها باتجاه مارغريت .

رجع الرجل الى المجموعة وبدأ الصياح مرة اخرى . كانت ترافقهم امرأة جميلة وانيقة لكن ملابسها تختلف عن تلك التي تعرفها مارغريت امها لم ترتد يوما مثل هذه الملابس . وغادرت المجموعة بالاتجاه الذي اشارت اليه مارغريت .

اخرج جان ومارغريت قطع الشوكولاته المتبقية واكلاها . نظرا من حولهما . اختفى القير من الطريق العام لم تكن هناك اسلاك كهرباء او تلفون . واختفت منطقة وقوف السيارات .

« انه حلم » قالت مارغريت وكأن هذه الفكرة تبعث السرور في اعماقها . فالاحلام تنتهي دون ان تصاب بالاذى .

« طبعا » اجابها جان وهو يأكل الشوكولاته ومفكرا لدقيقة او اكثر .

« هل لاحظت ملابسهم ؟ » .

« نعم وكأنهم في عهد ريتشرد الثاني ، فهي نفس الملابس التي شاهدناها في ستدانفورد حين ذهبنا في رحلة مع المدرسة » .

« نعم او مثل الناس في القصة التي كنت اقرأها عن حرب المئة عام . كنت قد حدثتك عنها . نعم هذا هو السبب لقد قرأت كثيرا ولذلك فانا احلم » .

« وانا ايضا » قالت مارغريت بحدة « انه حلمي وانت جزء منه »

« اشعر انه حلمي وانت جزءٌ منه »

« اعتقد .. اعتقد .. على اية حال انه حلم وكفى » .

« وماذا ايضا ؟ كان هناك شارع مبلط تبليطا حديثا يوم امس واختفى الان . الشيء الوحيد الذي بقي هو قطعة الشكولاتة والورقة . ماذا بك يا مارغريت ؟ »

« ماذا ؟ »

القطعة الذهبية التي رماها لك ذلك الرجل الم

تلاحظي كيف تصرف وكأنه دوق وانت فلاحة صغيرة ..
لنرها » .

اخرجت مارغريت القطعة من جيبها وقرأت ما عليها . في جهة منها كانت صورة رجل ولكن اكبر سنا من الصورة الموجودة على المدالية ومكتوب فوقها « أوثو دوق » اما الجهة الاخرى فكلمة الاخلاص باللاتينية كانت محفورة عليها مع التاريخ « ١٣٤٢ » .

حملق الطفلان الى التاريخ المكتوب دون ان يفهما شيئا .

« انها جديدة قال جان » وكذلك المدالية الذهبية ، فالذهب دائما يبدو جديدا » .

« لكن لابد ان تكون المدالية اقدم لان الدوق كان شابا في تلك الفترة . استطيع ان اراهن على انه كبير الان . يبدو ان هذه العملة الذهبية لم تستعمل وهي تلائم الملابس التي كانوا يرتدونها اليس كذلك ؟ »

« وكذلك السيدة هل رأيتها ؟ كيف كانت تجلس على الحصان وملابسها المخملية الغريبة » .

« ضعيها في جيبك الان » قال جان : « مع الاسف ان هذا مجرد حلم فلربما كان لهذه العملة قيمة كبيرة سنة ١٣٤٢ .. اتمنى لو كنت اذكر شيئا عن ذلك التاريخ . كل ما اعرفه ان هذه الفترة هي فترة العصور الوسطى ونحن الان مازلنا في نفس البلد الذي كنا فيه ليلة امس ، اذ يبدو انه متشابه الى حد ما — » .

« ما عدا الطريق واسلاك التلفون — » .

« انظري هناك المزيد من الاشجار في الغابة ولاتوجد وديان كثيرة — » .

« والقصر ! » صاحت مارغريت . كان القصر محاطا بالاشجار الكثيفة « الا تتذكر حين زرناه يوم امس قالوا بأن عمره يعود الى القرن الرابع عشر ؟ »

« نعم » ١٣٤٢ هو القرن الرابع عشر مثلما هو ١٩٨٠ القرن العشرين » .

ركض الطفلان مقتربين من القصر لظنهم انهما سوف يشاهدان قصرا جديدا بأعلامه الزاهية وجدرانه الجديدة ولكن اصيبا بخيبة امل عندما وصلا الى القصر

حيث لم يكن هناك الا بقايا اثار قديمة • كشك التذاكر كان قد اختفى وكذلك موقف السيارات •

« اذا لم يكن هذا هو القرن الرابع عشر ، فما هو اذن ؟ » قال جان : « هناك امر غريب لا افهمه » •

« نعم ، وشيء اخر » قالت مارغريت ببطء : « ان الرجل الذي سالنا عن الذئب لم يكن يتكلم الالمانية اليس كذلك ؟ وانا ايضا بالتاكيد لا استطيع ان اتكلم الالمانية ونحن مازلنا في المانيا حتى ولو كنا في عصر مختلف • اذا كنا نفهم وكانوا يفهموننا ، اذن فنحن نتكلم الانكليزية اليس كذلك ؟ » •

« انها لغة الاحلام » قال جان : « الم تحلمي يوما بانك نزلت على كوكب وكان بامكانك ان تتكلمي مع سكان ذلك الكوكب » •

« حسنا ، وماذا نفعل الان » •

« هذا لايهم كثيرا فهو مجرد حلم • هناك شيء واحد اكيد هو انه لن تمر سيارة من هنا ، وسواء كان حلما ام لا فانا جائع • لدينا بعض المال وعلينا ان نسال اين نجد الطعام » •

« لنذهب الى الكوخ ونطلب مساعدة ذلك الرجل » •

« هذا اذا كان الكوخ مازال موجودا » •

« اذا كان القصر موجودا فالكوخ موجود • حين شاهدنا الكوخ يوم امس كان يبدو وكأن عمره مئات السنين » •

« امس ! » قال جان

بدت الدهشة على وجه مارغريت « اتعني بان ذلك كان حلما ايضا ؟ قبل ان ننام ؟ لكنني اتذكره بوضوح » •

« اذا كنا مازلنا نائمين على السجادة بالقرب من ابي فهو حلم • واذا كنا نحلم فلن نصاب بالاذى • الافضل ان نقضي بعض الوقت ، وانا جائع • لابد ان يكون هناك شيء ناكله في الكوخ سواء اكان الرجل موجودا ام لا » •

« اذا كان الرجل موجودا نستطيع ان نخبره عن الدالية ونعيد له السكين والعصا » •

بدأ الطفلان رحلة العودة الى الكوخ • كانت الغابة ساكنة ولم يشعرا بالخوف ، ولكنهما اسرعا بالمشي خوفا من ملاقاة الذئب •

تذكر الطفلان عيني الذئب وادركا بانه ذئب حقيقي وليس كلبا كبيرا •

حين وصل الطفلان الى الكوخ ونظرا من الشباك كان كل شيء في مكانه ، اما الملابس فقد وضعت على كرسي في الغرفة • وكان هناك رجل نائم على الفراش يرقد ووجهه متجه نحو الشباك • انه نفس الرجل الذي كان يبكي •

فتح عينيه وشاهدهما ••



٦

بعد مضي حوالي نصف الساعة كان الطفلان يجلسان على مائدة الطعام في غرفة المعيشة ينتهون من اكل فطور مرض ولكن غريب • كان الخبز داكن اللون وجافا او بالاحرى يابسا ، ولم يكن هناك زبد ليؤكل مع العسل الموضوع على قطعة خشبية بدلا من الصحن • تناول الطفلان الفراولة والتوت اللذيذ • اما الاقداح فلم يشاهد الاطفال مثلها الا في الافلام القديمة

ولفرحة الاطفال فقد نجحت معهم لغة الاحلام مع الرجل ايضا • حين راهما الرجل كانا على وشك ان يهربا خوفا منه ولكنه اشار لهما بالبقاء وخرج ليرحب بهما ودعاهما لتناول الفطور معه •

اخذ الرجل ملابسهما ووضعها امام نار الموقد للتخلص من رطوبتها اذ انه اخبرهما عن خطورة ارتداء ملابس رطبة في هذه الفترة من السنة ٠

بعد تناول الفطور اخبراه بالقصة وما حدث لهما ٠

قال جان مترددا : « هذا اذا لم تكن تمانع في ان تكون جزء من الحلم ٠ فهو حلم ٠ يجب ان يكون حلما والا فلماذا يختفي ابي وامي والطريق المبلط وكذلك القطعة وهذا المكان انه غريب و ـــــ » ٠ توقف جان ٠

اراد ان يقول « انت وملابسك الغريبة ولكن ظن بان هذه العبارة قد تبدو اهانة للرجل ولذلك قال له : والذئب

« انا لا استهين بكم لكوني جزء من حلمكم » قال

الرجل » : في الحقيقة ساخبركم بعد دقائق بسعادتي في هذا الحلم ٠ فحين رايتكم من الشباك لاحظت بان الانسة الصغيرة كانت تحمل سكيني وانت تحمل عصاي ٠٠

« نعم » ٠ اعترفت مارغريت « ولكننا لم نأخذها الا خوفا من الذئب وكنا نريد العودة الى ابي وكنا

سنعيدها في كل الاحوال ولكن مع ابي ٠ وكنا ايضا سنعود الى الكوخ لنخبرك اين وجدنا الدالية وكيف رميناها على الذئب » ٠

اخبرهما الرجل بعد ان عاد من غرفة النوم ـ اذ انه ذهب لارتداء ملابسه ـ انه وجدها بين الاعشاب وانه يعتز بهذه الدالية ٠ وقال ايضا انها تحميه من القوى الشريرة ولكنه لم يقل شيئا عن قيمتها المادية لانها مصنوعة من الذهب ٠ لم يبد الرجل غاضبا من « لقد اخبرتماني بانكما ارشدتما مجموعة الصيد الى طريق مختلف فلماذا فعلتما ذلك ؟ » سأل الرجل ٠

« انا اكره الصيد » قالت مارغريت : « والذئب لم يؤذنا ٠ في الواقع شعرنا بانه هو الخائف ٠ هل رأيته ؟ هل هو حقيقة ذئب ؟ هل هو اليف ؟ » ٠

هز الرجل رأسه قائلا : « انه ذئب حقيقي وهو بالتأكيد متوحش ولكن في الظلام الدامس فقط ٠ بعد الغروب بفترة قصيرة تبقى السماء مضيئة قليلا وفي هذه الفترة يتصرف الذئب وكأنه كلب اليف وحين يحل

الظلام يصبح اكثر وحشية من أي شيء اخر » .

نظر الطفلان بتعجب وسأل جان : « ماذا تعني ؟ »

« حين شاهدتما الذئب على عتبة الكوخ كان الظلام خفيفا وكان الذئب مثل الكلب ولذلك لم يؤذكما وهرب قبل ان يرمي عليه جان المدالية » .

« اذن هذا هو السبب ، كنت اظن بان المدالية فيها سحر والا فلماذا يهرب ذئب بهذا الحجم من طفلين خائفين » قال جان :

«ربما هي كذلك ولهذا احملها معي اينما ذهبت » .

« قلت بانك ستحكي لنا كيف وجدت المدالية » سأله جان .

نظر الرجل الى يديه المجروحتين وقال :

« لم يكن الامر سهلا فقد كانت بين الاحراش والاشواك ولكن كنت اعرف اين سقطت بالضبط ولذلك اول شيء فعلته حين عدت هو اخراجها من هناك اذ لا استطيع النوم بدونها » .

« ولكن ـ »

« نعم ولكن كيف عرفت بمكانها ؟ » .

تكلم الطفلان في ان واحد واحمر وجه مارغريت لان الرجل ادار نظره نحوها واشار لها بان تتكلم فقالت :

« انا متاسفة ، لكن كيف عرفت بمكانها وقد وجدناها في الغابة في الطريق الى هنا وقلت بانك ذهبت للبحث عنها فور رجوعك وقبل ان نخبرك عن الذئب . قلت انك رأيت اين سقطت ولكن كيف ؟ »

« اتعني » سأل جان « انك كنت هنا حين جاء الذئب ؟ »

« نعم » تكلم الرجل بصوت عميق ونظرة حزينة وكأنه يشعر بالعار ونظر مرة اخرى الى يديه . نظر الطفلان الى احدهما الاخر دون ان يتكلما . لم يعودا يشعران بالمفاجأة ولكن ما قاله الرجل كان اغرب من اي شيء حدث لهما منذ البداية .

« كنت هنا وقد رأيتماني . في الحقيقة انا الذئب ».

انه حلم ، فكرت مارغريت ، يجب ان يكون حلما ، واذا كنت انا احلم فالرجل الباكي ممكن ان يكون ذئبا · وربما هذا هو سبب بكائه · فقد كان يعلم بان الظلام سوف يحوله الى وحش يقتل وياكل · شعرت مارغريت بالقشعريرة تسري في جسمها ·

حين شاهداه هذا الصباح كان يجري الى كوخه ليختبىء لحين تحوله الى انسان · ولو لم تدلهم على طريق اخر لقتلوه · لم تعرف مارغريت لماذا فعلت ذلك ولكنها احست بان عينيه مألوفتان · تلك العينين الصفراوين · نظرت الى عيني الرجل لتتأكد منهما · نعم انهما نفس العينين الكبيرتين ·

كانت تقارنه مع الذئب لم يكن هناك اي وجه للمقارنة · كان الرجل يراقبها فأحست ببعض الخجل واحمر وجهها ·

فضحك وقال : « اسناني ليست اسنان ذئب »

« لم اقصد ، لم اعن » لم تعرف مارغريت ماذا تقول ·

« انستي الصغيرة » ·· قال لها « لما اندهشت لو ركضت صارخة من كوخي ولكنك شجاعة وتتحلين باخلاق نبيلة وانه لما يؤلمني لو انيتكما سواء كنت رجلا ام ذئبا وانا مدين لك بحياتي » · ؟

تقدم الرجل قليلا ليضع قطعة خشب اخرى في الموقد وقال :

« لقد ارتحتما واكلتما ويبست ملابسكما · كونا في وضع مريح ، لقد جاء دوري الان لاقص عليكما قصتي » ·





٧

« اسمي » قال الرجل « مارديان وكنت ذات يوم خادما وصديقا للدوق الذي رأيتما رجاله هذا الصباح. انه أوثو ، حاكم هذه البلاد يعيش في القصر الكبير . كان ابي مستشارا عند والد أوثو وصاحبه في كافة حروبه وكان يده اليمنى . اما انا واوثو فقد كبرنا معا وكنا نتقاسم كل شيء في العقاب والثواب . عندما توفي الدوق تبعه ابي بعد اسبوع . كنا انا واوثو نتمنى ان نلحق بهما عندما تحين ساعتنا على نفس الشاكلة . لوحدثتكما عن الوعود التي اقسمنا على تنفيذها لاندهشتما . وكيف اصبحت المدالية رمزا للاخلاص والمحبة والثقة التي بيننا » ..

واستمر الرجل في حديثه عن المدالية قائلا : ولقد

طلبنا من احد العاملين في القصر ان يصنع لنا مداليتين صورتي محفورة على المدالية التي يحملها أوثو وصورته على المدالية التي احملها انا . وقد اقسمنا على ان لا نخون الثقة التي بيننا مهما حدث . وهكذا ولحد الان لم يحدث مايجعلنا نتخاصم . حين استلم أوثو السلطة اصبحت انا يده اليمنى ولم ياتمن اوثو احدا على اسراره وحياته مثلما فعل معي » ..

« وبعد عدة سنوات حدث شيء فظيع . كنا في طريقنا الى الصيد والتقينا بالكونت سيجموند من المقاطعة المجاورة وحدثت اشتباكات مع قواته جرح على اثرها الحاكم . ومن جراء هذا الجرح لم يكن باستطاعته المشي فاصبح مقعدا ويحمل على كرسيه اينما ذهب . انتابته حالة من الكآبة الشديدة بسبب حالته كان الجميع يذهب الى الحاكم للمشورة والنصح ، أما انا فكنت اقوم بالاعمال التي تتطلب جسدا سليما مثل قيادة الجيش للرد على الكونت سيجموند وحماية البلاد .

« حدث ذلك قبل خمس سنوات عندما كان ابن

الدوق في العاشرة من عمره · اخذت على عاتقي مسؤولية تنشئه الامير كرسبن لكي يصبح فارسا شجاعا ومستعدا لاستلام مكان ابيه عندما تحين ساعته احبني الامير حبا كبيرا لاني كنت مثله الاعلى ولكني في نفس الوقت كنت احاول جاهدا ان اجعل الامير يفهم حب أبيه له » ·

« واستمر الوضع جيدا لفترة من الزمن حتى حدثت مأساة اخرى · اصيبت زوجة الدوق بمرض مفاجيء وتوفيت على اثره · وكان عمر الامير في ذلك الوقت اثني عشر عاما · اما الدوق فقد اصابه الياس وتغلبت عليه الكابة · كانت اتفه الامور تجعله عصبيا حتى علي وابتعد عنه ابنه · فظن الدوق ان ابنه لا يحبه · والتصق الامير بي اكثر من السابق فغضب الدوق لذلك اتهمني بسرقة حب ابنه منه » ·

« وذات يوم عندما كان الدوق يعاني من الامه اتهمني بمحاولة اغتصاب السلطة منه · وقد سمعه رجل من رجال الحاشية وكان هو نفسه يهمس في اذن الدوق

باشياء ضدي · وهذا الرجل اسمه الميراك » ·

« ظن الميراك انني سوف اكره الدوق فحاول اغرائي وتشجيعي على الاستحواذ على السلطة وقتل الدوق ولكن ذلك مستحيل ولم اقبل باقتراحاته · ولذلك خاف ان اخبر الدوق عن مؤامرته وحاول دس السم لي ليقتلني ولكنه فشل وحاول بعدها قتلي بالخنجر في الظلام وفشل ايضا · وعندها لجأ الى السحر » ·

« لا أريد ان اخبركما عن السحر ولكن منذ سنة وانا على هذا الحال · في النهار انسان وفي الليل اتحول الى ذئب متوحش لايهدأ حتى ينهش كم انسان او حيوان · وتاتي مجموعة الصيد مع كل فجر لصيدي » ·

« لقد وعد الميراك بمكافاة كل من يجلب له رأس « الذئب الكبير » لانه يخاف الخروج من المجموعة وهو يعلم جيدا ماذا سافعل به لو رايته » ·

« عندما بدأت اعاني من السحر لجأت الى هذا الكوخ ، كانت امرأة طيبة تعيش فيه ولكنها ماتت

منذ زمن طويل ولم يصل احد الى هنا لانهم ظنوا انها كانت ساحرة وكنا انا واوثو نأتي الى هنا مع بقية الاطفال لنلعب وبعد موتها لم يصل احد الى هنا . من عدة شهور وانا انتظر الفرصة المناسبة لكي اتخلص من السحر الذي وقع علي واخيرا ربما جاءت فرصتي من خلالكما .

« سكت مارديان وبقي يحدق في النار لفترة طويلة . اما جان ومارغريت فلم يقاطعا سكوته . ربما بسبب جملته الاخيرة . فقد روعتهما واثارتهما ايضا . اسئلة كثيرة كانت تشغل ذهنيهما .

« ولكن لماذا لاتذهب اليه وتخبره بنفسك عما حدث لك ؟ » سألته مارغريت .

« لماذا لم يرسل من يبحث عنك ؟ الم يشعر بعدم وجودك . اذا كان الفرسان يخافون الدخول الى هذا المكان فلماذا اذن هم فرسان ؟ هل » قال جان .

« هل » ؟ ــ سأل مارديان برقة .

« هل يظن انك تركت القصر بمحض ارادتك ؟ هل تعني انه لم يحاول ان يعيدك الى القصر ؟ » .

« وحتى اذا تشاجرتما » بدأت مارغريت بالكلام وبحرارة « يجب ان يعرف ــ » « لم تكن هناك اية مشاجرة » قال مارديان بسرعة « لاداعي للوم الدوق انه لم يبحث عني لانه لم يفتقدني » هز رأسه واضاف « لم اخبركما بعد عن بقية القصة . ان الشرير الميراك انتحل شخصيتي وهو يعيش الان في القصر على انه مارديان » .

حملق الطفلان وسألت مارغريت « هل تعني انه يشبهك تماما ؟ » « نعم استخدم السحر لكي يصبح شبهي . والفرق الوحيد هو انه لايحمل المدالية المعروفة وادعى انه فقدها . انا اعرف هذه المعلومات . سمعت اهل القرية يتحدثون عنه » .

« ولكن اذا ذهبت الى القصر وشاهدكما الدوق سيعرف الحقيقة لانك الوحيد الذي يحمل المدالية » اضاف جان .

ابتسم ماريان وقال « لا استطيع دخول القصر
فقد امر مارديان » الحرس بايقاف كل من يدخل
القصر واذا شاهدني سوف يامر بقتلي وسرقة المدالية
او على الاقل يضعني في السرداب ولن يعرف احد
بوجودي هناك وربما يامر بقتلي حين اتحول الى
ذئب » ·

« اذن ما الذي ... » وهنا سعل جان واعاد
سؤاله بصيغة اخرى « لقد قلت بان الفرصة المناسبة
قد حانت لكسر السحر ؟ » ··

« ان المسالة ليست فرصة مناسبة وحسب انما
هي حياة الدوق وقضية الحكم · يجب ان اتحرك باسرع
مايمكن » ·

عدل مارديان جلسته وبدا اكثر جدية « لقد
سمعت اشياء اخرى في القرية · قالوا بان الدوق
لايغادر القصر هذه الايام بسبب صحته المتدهورة وقد
يموت بالسحر · اما الامير فهو يلازم « مارديان » اينما
ذهب حين يموت والده سوف يصبح دوقا اما الميراك

فلن يسمح له ان يعيش انه ينوي اغتصاب السلطة » ·

« وسوف يظن الدوق بان هذه الاعمال الشريرة
كلها من افعال مارديان الحقيقي لانه لايعرف الحقيقة
اضافت مارغريت ·

« بالتاكيد · لقد اخفى المدالية ولم يعد يلبسها ،
قال مارديان وساد الصمت · احس جان بنبضات
قلبه وكأنه سيقفز من بين ضلوعه اذن فالامر كله
يتعلق بالمدالية انها هي التي ادخلتهما الى هذا الحلم
الغريب · لابد أن يكون فيها سحر · « أتعني انك تريد
شخصا يخبر الدوق بالحقيقة نيابة عنك ؟ » سأل جان
كانت مارغريت تريد ان تقول بانهما سوف يفعلان اي
شيء يطلبه مارديان من اجله او من اجل الدوق وما ان
بدأت حتى مسك جان بذراعها واشار لها بالصمت ·

مارديان لم يجب على سؤال جان بشكل مباشر ،
وانما قال له « عندما كنا انا واوثو بعمركما اخبرتنا
المرأة الطيبة في هذا الكوخ بان كل سحر له مايكسره
ورغم كل ماحدث لي وكل معاناتي فانا اشعر بالراحة

عندما ارتدي هذه الدالية ولذلك اعتقد ان فيها قـــوة خارقة · قوة تعمل نحو الخير ضد الشر » ·

بدأت العصافير تزقزق · وساد الصمت في الكوخ · اخذ الثلاثة يفكرون بعمق · ثم نظر ماردیان باتجـــاه الطفلين وقال :

« سالتماني عن السحر · لست متأكدا من وجوده او عدمه وكل ما اعرفه انه خلال فترة شهر ســــوف يموت الدوق ثم يليه ابنه ثم يستولي الميراك علـــى مقاليد الحكم ويسود الشر · وانا سابقى على حالتـي هذه ان القوة التي جلبتكما الى هذا العصر فيها شيء من الحكمة · انتما لستما في حلم · انها حقيقة لقـــد جئتما من عصركما بقوة هذه الدالية ولهذا السبـب انا ماردیان النبيل اضع مصيري وقدري بايديكمـــا واكثر من ذلك مصير هذا البلد في ايديكما » ·

نظر الطفلان الى احدهما الاخر ولم يعرفا ماذا يقولان · نهض ماردیان وقال لهما انه سوف يغـــادر الغرفة لكي يتفاهما حول مسألة مساعدته · وقـــال

ان القرار يعود لهما فقط ولن يغضب اذا كان جوابهما الرفض ·

واضاف ايضا « اذا كنتما لاتريدان مساعدتي سوف تعودان الى عصركما صباح الغد ولن تتذكرا شيئا · ولكن اذا قررتما العكس اقول لكما بانكما سوف تلاقيان المتاعب والمصاعب » ·

غادر ماردیان فورا الى حيث الشمس وتركهما داخل الكوخ ·

● • ●

لم يكن جان ومارغريت اشجع او افضل من معظم الاطفال · ولكن على الرغم مما قاله ماردیان ظل الطفلان يعتقدان بان كل هذا حلم ولذلك لن يصابا بالاذى مهما حدث · وهذا الحلم لن يكون اكثر مـــن قصة مغامرة مثيرة · وعند لحظة الخطر ســـوف يستيقظان ليجدا نفسيهما بالقرب من والدهما · ومثـل غيرهما من الاطفال الذين يقرأون كثيرا لم يؤمنـــوا بالنهايات المأساوية الحزينة ، لابد ان تكون النهايـــة

سعيدة · ولذلك لم يستغرقا وقتا طويلا للاتفاق على مساعدة مارديان ·

عندما عاد مارديان اعربا له عن موافقتهما فقال ان خطته واضحة وبسيطة ·

« لن يشك الميراك بان طفلين يخططان ويعملان ضده او على الاقل يعملان لصالح مارديان الحقيقي ورغم انه ساحر فلن يظن أن هناك سحرا يعمل ضده ولنأمل انه لن يلاحظكما · أنا لا استطيع دخول القصر ولكني سارشدكما عن طريقة الدخول وكيف تختلطون باطفال القصر » ·

وهنا استدار نحو جان وقال له : عندما تختلط مع الفتيان سوف تصبح من خدم القصر وسوف يطلبون منك خدمة الذوق وهي احدى واجباتك وحين تاتي هذه الفرصة عليك ان تعطيه المدالية وتخبره بالقصة والباقي عليه · اذا صدقك هذا جيد وافضل ما نأمل به اما اذا لم يصدق فالامر له وعلي ان اتحمل وضعي ومعاناتي الى الابد » ·

خلع مارديان المدالية واعطاها لجان فقال جان :

« واذا لم يصدق ماذا أفعل اذا ظن اني وجدتها وجئت اطلب مكافأة وكذبت عليه ؟ » ··

« عندها اكون قد فقدت الامل وسوف ارضى بالواقع كما قلت سابقا » ·





٨

لم يكن هناك امر يشغل بال مارغريت وجان اكثر من مسألة الدخول الى القصر ٠

« انا سادلكم على طريق سري » اجاب مارديان « طريق لم يسلكه غيري انا واوثو عندما كنا في سنكما سنذهب في الليل وعندما يحين الصباح تخرجـــان لتختلطا باطفال القصر ٠ لاتقلقا ولاتتعجلا الامور كونـا صبورين فقط » ٠

« وفي اللحظة المناسبة » ، اضاف جان « ســوف نكلم الحاكم ولكن هناك أمر يشغلني ٠ ماذا سيقـــول والداي عن غيابنا » ٠٠

« لن يشعرا بغيابكما ٠ حين تنتهي المهمة سوف تعودان ولن يعرفا ماحدث فالوقت هنا يختلف عما هو عليه في عصركما ٠ لاتقلقا ودعونا نخطط الان للمهمة فالوقت هنا ضيق » قال مارديان ٠ بدأ جان ومارغريت يشعران وكأنهما من هذا العصر فقد نسيا السفـــرة وكيف يبدو بلدهما وبيتهما ٠ كل ماكانا يفكران به هو هذا الحاكم الوحيد وذلك الشرير الذي يريد قتله وسرقة كل مايملك من سلطة في بلاده ٠ من الصعب عليهمـــا ان يدركا بان الانسان هو نفسه اينما كان فهو لـــم يتغير على مر العصور ولكن الذي تغير هو الحـــدث

طلب مارديان منهما تغيير ملابسهما بملابس ملائمة لهذا العصر ففتحا صندوق الملابس واخرجا ملابســـ اطفال كانت المرأة الطيبة قد احتفظت بها من اجل اطفال الفقراء ٠ نصحهما مارديان باختيار الملابس الداكنة لكي لايلمحهما احد في الليل وقد وجدا احذية مناسبة لاقدامهما ايضا ٠

اما مارغريت فقد حملت حقيبة يد صغيــــرة

وضعت فيها عملتها الذهبية · وجان وجد حزاما تعلق فيه سكين صغيرة · وشعر بحمله السكين بانه اصبح رجلا قويا · ولكن مارديان اخبره بان هذه السكين تستعمل للاكل فقط فخابت احلامه ·

قالا لمارديان بانهما يشعران بان هذا العصر هو فعلا عصرهما فعلق مارديان قائلا « نعم انكما اصبحتما من هذا العصر الم تلاحظا باننا نتكلم نفس اللغة رغم انكما لم تتعلما لغة هذا البلد ؟ » ·

« نعم ولكننا ظننا باننا نتكلم الانكليزية » قال جان

فسالت مارغريت « السنا نتكلم لغتنا اذن ؟ » لم تلق مارغريت جوابا لسؤالها ·

« اعتقد » قال مارديان « انه من الافضل ان لا تدعوني باسمي احتفظوا بهذا الاسم لاميراك وانا لااتكلم مارديان ·

• • •

جلس الطفلان على صندوق الملابس بعد ان نفذا فعلا ما امرهما به مارديان · بعد مرور حوالي نصف

الساعة سمعا اصواتا غريبة ثم صوتا قويا وكانه صوت ارتطام جسم بالارض · اذن فقد سقط مارديان على الارض · كانت الاصوات والصيحات غريبة فاقت ماكانا يتوقعان سماعه · اصابهما الحزن لحالة مارديان الذئب · في البداية كان الصوت يشبه صوت انسان يتالم ثم تحول الى صوت حيوان يعوي · ثم سمعا صوتا قويا وكان شيئا قويا قد ضرب الباب اصابهما الخوف · اذن فالذئب يحاول الدخول · قفزا من على الصندوق وذهبا قرب الشباك وتهيأ جان فمد يده على السكين وكذلك مارغريت اخرجت علبة البهارات · عندما فشل في كسر الباب خرج من الكوخ وحاول الدخول من الشباك فركض الطفلان الى ركن بعيد قفز الذئب عدة قفزات محاولا دفع كل ثقله نحو الشباك القديم لعله يفتح لينقض على فريسته · تلت ذلك فترة صمت · لم يسترح الطفلان الا عندما سمعا عواء الذئب قادما من بعيد · فعدلا من جلستهما ولم يعد هناك شيء يفعلانه غير انتظار ضوء القمر ·



٩

جلس الطفلان على صندوق الملابس مرة اخرى وهما ينتظران ضوء القمر فهذا الضوء بالنسبة لهما في هذه اللحظة هو اشارة الاطمئنان • بعد مرور حوالي الساعة شاهدا الضوء وعرفا بان الذئب سوف ياتي في اية لحظة •

عندما عاد الذئب كان ملطخا بالدم • وانتابت مارغريت نوبة قشعريرة اذ انها اخذت تفكر بالضحية البائسة التي قتلها الذئب • نظف الذئب جسمه على الاعشاب ثم نفض عن فروته التراب • تقدم نحو باب الكوخ • فخرج جان وتبعته مارغريت واشار لهما

الذئب ان يتبعاه ••

وهكذا بدات رحلتهما بعد منتصف الليل نحو القصر • لم يشعرا بالخوف لان الذي اخافهما في رحلتهما الاولى يحميهما الان •

ظن الطفلان انهما سوف يشاهدان قصرا حديث البناء وعلى عكس توقعاتهما لم يكن القصر الا خرابا فاصابهما بعض الشك • ربما كان القصر يبدو حديثا في عيني الذئب فقط •

وصل الثلاثة الى شباك صغير في اسفل جدار القصر الصخري • لان القصر كان مشيدا على جبل صخري صغير نسبيا • اشار الذئب براسه الى جان ان يفتح القفل المكسور ليدخلا • وهكذا فعل جان ودخل ثلاثتهم الغرفة • كانت الغرفة مفروشة باثاث بسيط • دولاب ، سرير ومنضدة مع كرسي • « يبدو بان الغرفة لم تنظف من فترة طويلة فالغبار يغطي كل شيء» فكرت مارغريت اما جان فحاول فتح الدولاب ولكنه فشل كان مقفولا • فتح جان باب الغرفة فخرج الذئب

ليرشدهما الى طريق الصعود الى القصر . عرفا انهما الان في سرداب يقع تحت اسفل ممرات القصر حيث تخزن فيه قناني الشراب والطعام المخزون . واشار الذئب الى جان بان يفتح الباب الاخر . ففعل جان ذلك وعرف جان بان هذا الممر الطويل المظلم يؤدي الى القصر .

عاد ثلاثتهم الى الغرفة وتركهما الذئب . فقد وعد مسبقا انه سوف يعود في نفس الوقت من الليلة التالية .

جلس الطفلان على السرير واكلا شيئا مما جلبته معها مارغريت من الكوخ . كانا متحمسين لما سيشاهدانه في الصباح . انتابهما شعور بالامان فهما بين جدران قصر كبير وفي غرفة مفروشة أما الذئب فهو هناك في الغابة يشعر بالخوف والاسى لايعرف متى تنتهي حياته والى أين سيقوده مصيره .

ومن شدة التعب غلبهما النعاس قبل ان ينتهيا من الحديث .

١٠

استيقظ الطفلان وهما يشعران بالجوع . ذهبا الى الشباك وشاهدا الناس يذهبون ويجيئون بملابسهم الغريبة . اما القصر فعلى مايبدو كان ساكنا .

قال جان : لنحاول ان نصعد الى القصر قبل ان يستيقظ الجميع ونفتش عن شيء نأكله ، وافقت مارغريت دون تردد . وهكذا فتح جان الباب الاول ثم الثاني واذا بهما في ممر طويل داخل القصر .

« اظن أننا قريبان من مطبخ القصر فانا اشم رائحة الطعام » قالت مارغريت وفي هذه اللحظة سمعا صوت أقدام وتقدم نحوهما رجلان وامرأة عرفت مارغريت فورا انها المرأة التي شاهدتها صباح أمس مع مجموعة الصيد فاصابها الخوف من ان نعرفها « تعالا هنا ! ماذا

تفعلان ! الا تعرفان ان هذه الممرات محظورة على الاطفال ! » قال احد الرجلين بغضب ·

ارتبك جان ومارغريت · وللحظات ظنا بان امرهما قد انكشف وضاعت فرصة الذئب « لقد فر الكلب وركضت اختي خلفه فذهبت انا وراءها لامنعها من المجيء الى هنا » قال جان دون تردد ودون ان يدرك كيف وصلت به الجرأة لان يكذب ويؤلف مثل هذه القصة ·

« ما أسمك ؟ » وجهت المرأة سؤالها الى مارغريت

« اسمي غريتا ياسيدتي وهذا هو اخي هانز ونحن احفاد السيدة غرنزل » اجابت مارغريت :

وما ان قالت « السيدة غرنزل » اشفق الثلاثة على الطفلين وقال احدهم :

« هذه المرة لن نعاقبكما وفي المرة القادمة سيكون العقاب شديدا · انت يا هانز اذهب الى المطبخ فالفطور قد حان » ·

« اما انت ايتها الصغيرة تعالي معي الى غرفة

النساء » امرت السيدة ·

وصل جان الى المطبخ وهو يتتبع رائحة الطعام وضوضاء القدور والصحون فلم يجرؤ ان يسال عن موقع المطبخ لئلا يكشفوا امره ·

وجد المطبخ مليئا بالصبيان والطباخين · كان واجب الصبيان خدمة الرجال على مائدة الطعام · ولكن الصبيان ليسوا خدما فهم ابناء رجال القصر ويصادف في بعض الاحيان ان يخدم الابن اباه ولكن الاب لم يكن يعامل ابنه كابن بل كاي صبي غريب عنه · سرعان ما تعلم جان كيف يتصرف · كان عليه ان يأخذ اطباق الطعام وينقلها الى القاعة المجاورة حيث يجتمع الرجال حول موائد الطعام الكبيرة ·

كان اغرب ما لفت انتباه جان هو انهم يستعملون السكين فقط عند الاكل · كان لدى كل واحد منهم قدح من الفضة يشربون به النبيذ ·كان النبيذ يقدم بأنواعه الجيدة والرديئة كل يحصل على قدر مقامه · اما الحاكم فيجلس في منتصف المائدة بين ابنه الامير

كريستين و « ماردیان » .

وفي احدى المرات التي كان يذهب فيها جان الى قاعة الطعام اصابه ذهول مفاجيء فقد شاهد ماردیان جالسا بجانب الحاكم . بعد لحظات استيقظ جان من ذهوله وعرف بان هذا هو الميراك وليس ماردیان الحقيقي . وحين اقترب جان احس بان عيني « الميراك ماردیان » تفتقر الى بريق عيني ماردیان .

« كيف اصل الى الحاكم وهذا يلازمه طول الوقت . كيف اكلمه وعنده من يقف على خدمته » . فكر جان اذ ان للحاكم صبيين يتناوبان على خدمته ويرتديان ملابس مختلفة وعليها شعار (علامة التاج) .

لاحظ جان بان صحة الحاكم ليست جيدة . فهو حزين ولم يتناول فطوره . يبدو انه كان ينتظر ابنه فقد عاد الجميع من الصيد ما عداه .

« انت ايها الصبي انتبه . اذهب واجلب المزيد من الشراب » صاح به احدهم .

تنبه جان فركض الى المطبخ . وهكذا استمر جان

يركض بين قاعة الطعام والمطبخ لمدة تقارب الساعة والجميع يأكلون وكأنهم اسود في حديقة الحيوانات .

رغم التعب الذي اصابه فقد شعر جان بالسرور للقيام بمثل هذه الاعمال فقد تعلم الكثير . تعود على وجود عدد كبير من الاشخاص في المطبخ وتعود ايضا على تلقي العظام التي يرميها الرجال بعد ان ينتهوا من التهام لحمها . وقد تناول هو ايضا الكثير من الطعام . وهنا فكر جان باخته مارغريت يا ترى هل وجدت ما تأكله ؟

ولكنه لم يول الامر اهتماما كبيرا فقد كان كل اهتمامه منصبا في كيفية ايجاد فرصة مناسبة لكي يكلم الحاكم . يبدو بان الامر سيكون غاية في الصعوبة . والامل ضعيف جدا . فأينما ذهب رافقته مجموعة من الحرس المسلح . وقد لاحظ جان بان الحاكم لم يوجه اي حديث لاي كان ما عدا الساحر المتخفي .

اما الميراك فقد كان منتبها لكل مايجري من حوله وكان في بعض الاحيان ينظر باتجاه كرسي الامير الشاعر . وقد وجد جان نفسه يراقبه بدقة وقد تأكد ان

الميراك لم يلاحظه . فلماذا يلاحظه وهو لايختلف في مظهره عن بقية الصبيان ؟

وهكذا استمر جان في خدمة النبلاء وهو يفكر كيف يقترب من الحاكم وماذا حل بمارغريت .







١١

كانت مارغريت تغتاض من جان عندما كان يضحك منها لمجرد كونها فتاة . فقد كانت عبارة (مجرد فتاة) تزعجها حقا ، حتى ولو قيلت للمزاح . ولكن في هذا العصر الذي [redacted] اليه عرفت مارغريت حقيقة كيف تعامل الفتاة وكيف انها فعلا مجرد فتاة لاغير .

اذ كان جزاء الفتاة التوبيخ والعقاب حتى ولو لم تفعل شيئا سيئا .

« عليك ان تجلسي ويداك في حضنك ورأسك متجه نحو الارض وكذلك نظرك! » هذا ما كانت تقوله لها مشرفة غرفة الاطفال كلما شاهدتها « هكذا تجلسين عندما تكونين في حضرة رجل ما » .

ولذلك لم تكن مارغريت ترغب بالاختلاط مع الاخريات وحين كن يسالنها عن اهلها كانت تسرد لهن قصتها الخرافية المزيفة لتثير شفقتهن .

بعد تناول وجبة الافطار خرج جميع الاطفال الى حديقة القصر العالية ومعهم نساء القصر للتنزه واللعب . اما مارغريت فلم تكن ترغب باللعب ولذلك غافلت المشرفة وانزوت بين الاعشاب الواقعة في طرف الحديقة العالية . ومن موقعها شاهدت مارغريت الحديقة السفلى كيف كانت نظيفة ومليئة بالازهار الجميلة . ولقد لفت انتباهها شاب وسيم لايتجاوز الخامسة عشرة من العمر . وحين امعنت النظر عرفت انه الامير كرسبن الذي كان يرافق مجموعة الصيد صباح الامس .

سمعت مارغريت احدا يقترب من الامير ويالمفاجأة ! بدأ قلبها يدق بقوة وكانت المفاجأة اكثر وقعا عندما سمعت صوت الرجل . انه مارديان ! لقد جاء مارديان ! هكذا فكرت للحظات ولكنها سرعان ما ادركت انه لم يكن الا الميراك الساحر الشرير .

« لم اكن جائعا » هكذا بدأ الامير حديثه معبرا عن عدم حضوره وجبة الافطار « هل كنت تريدني ان اسمع المزيد من الشائعات . تكفيني نظرات الرجال وما اسمعه من حديث عن ابي . انهم يعتقدون انه سوف يموت عما قريب وربما لن يلحق يوم تعميدي واعطائي حق الولاية من بعده . بالله عليك لماذا يقولون ذلك هل هو مريض حقا ؟ » .

« انه متعب وعليك ان تتحلى بالصبر » قال الميراك :

« لكن الاطباء لايعرفون من ماذا يشتكي وهو يقول انه يشعر مثل الغريق الذي لايستطيع الوصول الى الشاطيء وربما مثل الذي يتسمم ببطء . صحيح

انه يشعر بالكآبة ولكن مضى على موت والدتي سنتان وهذا ليس السبب الحقيقي · قل لي هل تصالحتم ؟ » ·

« ومتى تشاجرنا لكي نتصالح ؟ألم يحدث اي شيء بيننا » اجابه الميراك :

« ولكنه تكلم معك بحرارة عدة مرات انا سمعته بنفسي » ·

فقال ماردیان المزيف بحدة « وهل تغير ولائي له ؟ هل قال لك شيئا ؟ ألم اكن الى جانبه طيلة حياته ؟ » ·

(خنزير انت ! فكرت مارغريت لست الا خنزيرا)

وهنا تغيرت نبرات صوت ماردیان المزيف بشكل واضح حتى ان الامير شعر بذلك ·

« اجنبي اليس كذلك ؟ » ·

« نعم بالطبع » قال الامير بعد تردد قصير ·

« وما هذا الحديث عن التسمم ؟ من يجرؤ على تسميمه ؟ فالصبيان جستن ودنس اللذان يخدمانه يتذوقان الشراب والطعام قبل تقديمه له » قال ماردیان :

« نعم لقد تكلمنا انا والطبيب في هذا الموضوع وعندما لم نتوصل الى نتيجة قال بان والدي واقع تحت تاثير سحر يسلبه ارادته · انه حقا لا يملك اية ارادة لفعل اي شيء ولو رغب ان يمشي لمشى لانه لايعاني من مرض عضلي » قال الامير :

« هذا كلام فارغ » ضحك الميراك ·

« عليك ان تعرف مع من تتكلم » احتج الامير على كلام الميراك ·· ثم سكت الاثنان · وبعد دقائق بدأ الجد واضحا على وجه الميراك ثم قال :

« نعم يا ولدي ان والدك واقع تحت تاثير مرض يسلبه الارادة ويدعى هذا المرض (مرض الذئاب) · وماذا تظن اننا نفعل بخروجنا كل يوم لصيد ذلك الذئب اللعين الذي يقتل اغنام الفلاحين وينقل مرضه الى الناس ؟

« ظننت ان الصيد مجرد رياضة » قال الامير مندهشا :

« انها اكثر من ذلك فصيد الذئب هو بمثابة

تخليص والدك من مرضه » .

« وهل تظن انه سوف يتحسن ؟ »

« بالبطع فهذا المرض موجود ويعرفه علماء الطب . فقد بدء والدك يعاني من مرضه من سنتين عندما ظهر ذلك الذئب المتوحش » .

وهل سيصدق ابي هذا الكلام ؟ »

« التصديق هو الايمان بوجود السحر فهذا المرض ناتج عن السحر فهناك رجال اشرار بأمكانهم ان يتحولوا الى ذئاب ليؤذوا الناس فقط » .

« نعم نعم » قال الامير متسرعا « مثل الشرير الميراك » .

(قفزت مارغريت في مخبأها وكانها وخزت بدبوس)

« مثل من ؟ » سأل ماردبان المزيف وكله دهشة .

« مثل ذلك الرجل الشرير الميراك الذي اختفى قبل عدة سنوات . فابي لم يثق به ابدا وانت ايضا اتذكر عندما قلت لي ذلك بنفسك ؟ » .

« انا متى ؟ » واستدرك قائلا « نعم نعم تذكرت » « لقد اختفى فجاة وفي نفس الفترة ظهر هذا الوحش في الغابة ربما حول نفسه الى ذئب » .

« هذا كلام الاغبياء » .

« انسيت نفسك ما هذا الكلام »

« اعتقد ان الامير يكره هذا الرجل ولولا اعتقاده بانه ماردبان لتصرف بشكل اخر » فكرت مارغريت .. استدرك الميراك واعتذر للامير عن كلامه قائلا :

« ان الحديث عن السحر جعلني اتفوه بهذه العبارة اسحب كلامي يا جلالة الامير » .

ولكنك انت الذي قلت بان الرجال الاشرار يحولون انفسهم الى ذئاب وهذا ما اكده لي احد رجال القصر وهو ان الميراك كان دوما يتحدث عن السحر وممارسته .. (تستحق اكثر من ذلك هذا جزاؤك فكرت مارغريت)

« لقد سألني ابي فيما اذا كنت ارغب باقامة احتفال غير عادي بمناسبة تعميدي ومنحي حق الولاية

من بعد ابي · عندي الان فكرة سوف نقيم صيدا ملكيا يستمر من الصباح وحتى المساء وقد تقنع ابي بمغادرة القصر ربما اذا خرج سيتعود على ذلك فيما بعد واذا حالفنا الحظ ربما اصطدنا ذلك الذئب المتوحش ·· قال الامير

« كلا »

« ولكنك قلت انك سوف تسعد ابي وتفعل ما يشفيه من مرضه فلماذا لا » « لا اريده ان يرهق نفسه لنفكر بالمستقبل وحفلتك الكبيرة ولنجعل امر الصيد بيني وبينك · اريد ان اكون يدك اليمنى ايضا · لنعمل من اجل مستقبل البلاد فهل تقبل بصداقتي ؟ » قال مارديان المزيف ·

« ان من يرفض صداقة الناس لهو احمق · اما ان يقبل امير بصداقة شخص لم يثبت ولاءه فهو احمق » ·

« وماذا تريد مني مدالية اخرى » قال الميراك مستهزئا ·

« لا اريدك ان تقسم »

« سوف اقسم يوم تعميدك في كل الاحوال وسوف اقسم بالصداقة والولاء يوم توليك العرش ولكن ليكن هذا القسم بعيدا عن اسماع والدك فربما يظن اننا تسرعنا او اننا نريد ·· »

وهنا بدأ الاثنان يبتعدان فلم تعد مارغريت تميز الكلمات · سمعت حفيف ثوب يقترب منها فعدلت جلستها ونظرت باتجاه الارض فشاهدت رجل امرأة ، حين رفعت نظرها عرفت على الفور انها السيدة الجميلة التي شاهدتها مع مجموعة الصيد في الصباح الماضي ·



١٢



كانت المرأة الجميلة ترتدي ثيابا غاية في الاناقة ·

وكانت عيناها الخضراوتان تحملقان في وجه مارغريت ·

« ماذا تفعلين هنا ولماذا انعزلت عن الاخريات ؟ »

سالت المرأة بحدة نظرت مارغريت من حولها فلاحظت بأن الجميع قد غادروا الحديقة ما عدا سيدتين فقالت:

« لقد شعرت بالحر فجئت الى هنا لاستريح · لقد لعبنا كثيرا بالكرة · سوف اذهب الان يا سيدتي » · فوقفت مارغريت تحاول الاسراع بمغادرة المكان لكي لاتتعرف عليها السيدة وينكشف امرها وامر جان والخطة وبالتالي تلقى عقابا شديدا ·

ولكن السيدة قالت « من انت ؟ »

« انا حفيدة السيدة غرنزل » هذا كل ما اجابت به

« لقد رأيتك من قبل أليس كذلك ؟ »

« ماذا ، نعم يا سيدتي مرات عديدة مع الفتيات الاخريات · فأنت لا تتذكريني ولكننا نتحدث عنك بأستمرار »

« تتحدثون عني ؟ لماذا ؟ » سألت السيدة بحدة

فبدت البراءة على وجه مارغريت وقالت « لانك اجمل سيدة في القصر »

وهنا لانت قسمات وجه السيدة « اشكرك ايتها الصغيرة » وابتسمت « ولكني أقسم باني رأيتك من قبل ولكن اين ؟ هل سبق وان كنت خاج القصر ؟ »

« لم اغادر القصر في حياتي يا سيدتي »

« ما أسمك ؟ »

« غريتا »

وقبل ان يتاح للسيدة طرح اسئلة اخرى جاءت

سيدة اخرى تنادي عليها فقالت لمارغريت « عودي الان الى غرفتك ايتها الصغيرة » وذهبت بعيدا .

اخذت مارغريت تفكر بالذي كان سيحدث لها لو تذكرتها السيدة . ولكي لاتقع في موقف محرج قررت ان تذهب الى الغرفة السرية وتنتظر جان . ولحسن حظها تمكنت من الوصول الى الغرفة دون ان يلاحظها احد .

• • •

بدات الشمس تغيب . وبدأت مارغريت تشعر بالجوع . هل تنتظر جان لحين عودته بعد تقديم وجبة العشاء ام تجازف بالخروج . هكذا كانت مارغريت تفكر واخيرا قررت ان تخرج ولكن حين اقتربت من الباب سمعت صوتا خارج الغرفة ابتعدت عن الباب واذا بجان يدخل حاملا معه منديلا فيه من الطعام ما لذ وطاب

فرحت مارغريت وبدأت تلتهم الطعام بشراهة وسألت : « لماذا جئت مبكرا هكذا »

« لقد هربت من فترة اللعب بعد ان عرفت بان اللعب يعني الحرب والمصارعة وقد يحدث في بعض الاحيان ان يستعمل العنف الذي لا ارغب به في اللعب . وقد وجدت بان هذه الفترة هي فرصة مناسبة لخزن بعض الطعام فلربما نتاخر في انجاز مهمتنا . اخبريني ماذا فعلت انت ؟ »

حكت مارغريت لجان ما صادفته خلال الصباح وهو بدوره سرد لها كل ما راه وتعلمه « تصوري انهم ينادونني باسم ليونيل . ربما توفي صاحب الاسم او غادر القطر .. لقد سمعت بان الكثيرين يموتون هنا .. ربما انا اشبه ليونيل هذا كثيرا » .

اخبرها ايضا بان الامل في الوقت الحاضر ضعيف وعليها ان تصبر عدة ايام اخرى وقال ينصحها :

« اقترح عليك ان تبقي مختبئة هنا ، علي ان اعود الى المطبخ قبل ان يفتقدوني فهم يتهيأون لوجبة العشاء ، سوف اعود حالما انتهي من عملي » .

« ان فترة العشاء تستغرق عدة ساعات وانا

اشعر بالملل من الان ، اجابته مارغريت متضجرة ٠

« لننتظر عودة الذئب فلربما يقرر ان تعودي معه

الى الكوخ كي لايفضح امرنا »

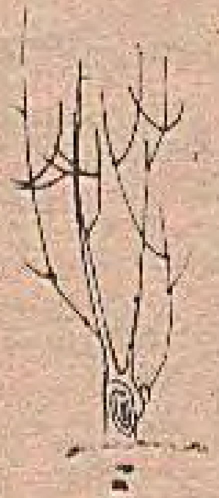
« وتبقى وحدك هنا »

« نعم اذا اقتضى الامر ٠ لاتقلقي لن يشعر بي

احد علي ان اسرع الى اللقاء »

« الى اللقاء اعتن بنفسك »

« نعم سافعل »



١٣



ربما كان مجرد حظ ـ او كما اعتقد الاطفال فيما بعد ـ انه جزء من السحر الذي جلبهم لمساعدة الذئب فقد وجد جان فرصة لا مثيل لها للاقتراب من الحاكم في ذلك المساء ٠

غالبا ما قال والد الطفلين لهما بان الحظ يعتمد على الفرد نفسه ٠ اذ تمر في حياتنا فرص عديدة ولكن علينا ان نتخذ القرار ٠ فاذا لم نملك الشجاعة او الفطنة لاستغلال الفرص فستفوتنا الى الابد ٠ اقل ما يمكننا ان نفعله هو المحاولة ٠ والناس الذين لايحاولون استغلال الفرص في الوقت المناسب سوف

يندبون حظهم عند الكبر •

ولهذا قام جان بانتهاز هذه الفرصة رغم انها كانت خطرة •

بعد ان ترك مارغريت ذهب الى المطبخ وكان واجبه هذه المرة هو ملء اقداح الناس رجالا ونساء بالنبيذ • فقد كان يسمح للنساء بتناول العشاء مع الرجال ولذلك كن في احلى زينتهن • كان معظم الذين يجلسون مع الحاكم غاية في الادب وكلما ابتعد الناس عنه وجد جان انهم لايمتلكون ذرة من اداب المائدة المتبعة • فجميعهم يتهافتون على الصحون والنبيذ ويسرقون من صحون غيرهم •

وفي احدى المرات التي ذهب فيها جان لاحضار المزيد من النبيذ عاد ليجد أن معظم الناس قد غادروا القاعة والقسم الاخر ناموا فوق فضلات الطعام • اما الفتيان فقد انتهزوا الفرصة وذهبوا الى المطبخ لتناول عشائهم • ولذلك فكر جان باخذ بعض الطعام الى مارغريت • انسل من المطبخ وهو يحمل صرة

طعام مع قنينة نبيذ من النوع الرخيص •

عندما وصل جان الى الممر المؤدي الى السرداب شاهده رجل كان يقوم بانارة مشاعل القصر • فلم يعرف ماذا يفعل • هل يعود من حيث اتى ... يشك الرجل بأمره • وكذلك اذا استمر اوقفه الرجل واخبّر عنه وقد يعاقب بشدة لان هذه لممرات محظورة على الصبيان • ولكن الرجل قال فجأة « انه هنا خلف هذا الباب » •

فمن هو يا ترى! على اية حال تقدم جان نحو الباب ودخل فوجد ممرا طويلا تقع على جانبيه عدة ابواب ولاحظ وجود صبي في مثل عمره ممددا على الارض يئن من الالم •

« ما بك هل اصابك مكروه ؟ » سأل جان

« اتركني وحدي ! ابتعد عني » واشاح بوجهه كي لايراه جان •

« لماذا انت هنا الا تعرف ماذا سيحدث لك اذا وجدوك هنا ؟ »

« وما الذي تفعله انت هنا ؟ » اجابه وكأنه يقول مصيرنا واحد ·

« لقد جئت اتناول طعامي بهدوء واعتقد رجل المشاعل باني جئت اقاسمك العشاء » ·

وبدأ الصبي يئن ويتلوى من جديد فاقتــــربمنه جان واذا به يشاهد علامة التاج على قميصه المخملي وصاح به « انت جستن خادم الحاكم ! هل اكلـــت او شربت شيئا يجب ان نخبر الحاكم بذلك تعرف مـــاذا سيحدث لو انه تسمم سوف اجلب من يراك » ·

« كلا لا تفعل لم اكل شيئا · كل ما في الامر اني تغيبت عن فترة اللعب عدة مرات متتالية واراد اربعة صبية ان ينتقموا مني مرة اخرى وليس لي من يحميني· اذ ان ابي اسير عند الكونت سيجموند »

تأثر جان لحالة الفتى فقد كانت تحيط بعينيـــه هالتان سوداوان والدم ينزف من فمه ويبدو انهـــم اشبعوه ضربا في بطنه ·

عليك ان ترى الطبيب حالتك يرثى لها » قال جان

« لا عليك الان · يبدو انك ولد طيب اريد منـك ان تؤدي لي خدمة · علي الان ان اقوم بتهيئة شـــراب الحاكم ودنس نائم الان · ما اسمك ؟ »

« انا هانز ومستعد لتلبية طلبك فما هو ؟ »

« اريدك ان تجد دنس وتيقظه ليحل محلي هـذه الليلة وانا ساعوضها له ارجوك ؟ »

« نعم ولكن اقترح عليك ان تعطيني ملابسك كي لا يشك احد بأمري وانا ادخل جناح الحاكم وسوف احفظ لك سرك لا تخف »

وهنا شعر جان بان الفرصة قد جاءت وعليه ان يغتنمها مهما كلف الامر ·

ساعد جان الصبي بخلع ملابسه وارتداء ملابس جان ونقله الى احدى غرف الممر وترك صرة الطعام معه اما النبيذ فقد اخذهلكييظنمن يراه انه ذاهب في مهمة لخدمة الحاكم · وقد اخفى المدالية بين ملابسه الجديدة لكي لا يلمحها احد ·

« ما هذا الشراب الليلي وكيف تصنعه ؟ » سأل

جان وفي رأسه افكار عديدة ولكن الصبي كان قد وصل الى حد من الارهاق لم يساعده على الكلام ولكنه تمتم بعبارات متقطعة « دنس يعـــرف .. الحليب مـــع الاعشاب .. اغل نبيذ الحاكم .. يغلي جيدا .. » وفقد وعيـه .

ترك جان موضوع ذهابه الى مارغريت في هـذه الفترة فلديها ما يكفيها من الطعام وهي في مأمن من اي شيء ما دامت في الغرفة السرية .

تجول جان في ممرات القصر وهو يسأل عـن دنس . في الواقع كان يريد ان يعرف اين يقع جناح الحاكم وليس من المعقول ان يسأل عن الحاكم لانه مثى ما يبدو احد سكان القصر . اخيرا وصل الى غرفة الحرس الملكي التي تؤدي الى السلم المؤدي الى غرفة الحاكم الخاصة التي تقع في اعلى برج فـي القصر .

تقدم جان باتجاه السلم واذا به يرى مارديان المزيف ينزل من الغرفة (البرج) فاذا تقدم اوقفه وص

عليه بعض الاسئلة واذا هرب شك الاخرون بأمره وهنا صاح احد الرجال على الميراك وانقذ الموقف فوجد جان الفرصة مناسبة لكي يختبيء خلف مقعد كبير . بعد ان انتهى الرجل من التحدث مع مارديان المزيف غـادرا المكان . خرج جان من مخباه وركض باتجاه السلـم فوجد حارسين واقفين عند اسفل السلم . لم يوقفاه ولكن احدهما قال له : « لقد تأخرت الليلة عن موعدك صل على روحك من غضب الحاكم » .

دمدم جان بعبارة غير مفهومة وصعد السلم . أوقفه حارسان اخران عند اعلى السلم « لست جستن فمن انت ؟ »

« اسمي هانز »

« وهذا ليس نبيذ الحاكم انه من نبيذ العشاء على ما يبدو »

« نعم ولكنه افضل عند غليه مع الحليب والاعشاب من نبيذ الحاكم . ولاتظن انه سم فعلي انا اتذوقه قبل تقديمه للحاكم » . وهنا فكر جان بكذبة اخرى عـززت

مرفقه ..

اقوم انا ايضا بخدمته عند الحاجة !

. فاستلقت على الفراش ونامت .

« نعم انت تشبه ليونيل حقا ادخل ايها الصبي ولكن شرابك جيد الصنع فالحاكم ليس على مايرام » .

دخل جان واغلق الباب وراءه .

اخيرا نجح في مهمته الاولى . الان عليه ان ينجز بقية المهمة بعيدا عن مارديان المزيف فهل سينجح .

١٤

جلست مارغريت فوق السرير لتأكل المزيد من الحلوى ثم ذهبت ناحية الشباك ثم بدأت تستكشف الغرفة واخذت تشغل نفسها كي لاتصاب بالملل ولكن عبثا فالوقت طويل والذئب لن ياتي الا بعد منتصف الليل وجان عنده اعمال كثيرة فلم تجد امامها غير النوم . فاستلقت على الفراش ونامت .

استيقظت مارغريت مفزوعة لسماعها صوتا خارج الغرفة . ظنت اول الامر انه جان وقد عاد من المطبخ ولكن صوت وقع الاقدام كان مختلفا لذا ركضت نحو الدولاب لكي تختفي خلفه وخلف ملابس قديمة معلقة على الحائط ذات رائحة نتنة . رفعت مارغريت

الملابس ووضعتها امامها مثل الستارة ·

دخل الغرفة رجل طويل القامة يحمل فانوسا ·

شعرت مارغريت بان ظهره يواجهها فاطمأنت وتمكنت من اختلاس عدة نظرات من بين الملابس · حين عرفت انه مارديان المزيف ارتعشت خوفا · لم يخطر على بالها ثلاثتهم هي وجان والذئب بان الميراك بتحوله الى شخصية مارديان تمكن من معرفة اسرار مارديان · ولهذا فهو على علم بأمر الغرفة السرية ·

اتجه الميراك الى الدولاب بمفتاح كان قد اخرجه من جيبه · واخرج عددا من الاواني والقوارير ومجموعة اعشاب مجففة ووضعها على الطاولة · بدأ الميراك يخلط الاعشاب مع بعضها ثم اخرج من بين ملابسه كيسا جلديا وتناول ذرات قليلة من محتوياته وضعها مع الاعشاب ، تفاعل المزيج وتحول الى سائل · وكلما خذ مارديان يحرك السائل تحول الى لون اخر ·

بينما هو يعمل كان يكلم نفسه :

« نعم سوف تحين ساعتك ايها الحاكم لن ادعك تعيش لترى البدر وقد صار قمرا من اين يأتي مارديان ليخلصك مني ، انه بحاجة لمن يخلصه من محنته ، تعال يا مارديان لترى ماذا سيحل بصديقك وماذا سيحصل لوريثه من بعده » ·

كانت مارغريت تسمع كلامه وترتعش خوفا على مارديان وجان والحاكم · ظلت تفكر مع نفسها وكلها قلق فاذا جاء جان انكشف الامر واذا جاء الذئب لامر الميراك بصيده وقتله ماذا نفعل ! ربما اذا شاهدا الغرفة مضاءة سيعرفان بان في الامر شيئا مريبا ، انهما على علم بعدم وجود شمعة او فانوس بالغرفة · قطع الميراك مجرى تفكيرها وقال بصوت عال :

« عندما تصبح البلاد تحت سيطرتي الكاملة سوف لن أهدأ حتى اقطعك اربا واتخلص منك يا عزيزي مارديان » ·

عاد الميراك الى الدولاب ليخرج شيئا منه ·

فوجدت مارغريت فرصة مناسبة لكي تلقي نظرة شاملة

على موجودات الطاولة واذا بها ترى انعكاس وجهها ووجه الميراك في الاواني الزجاجية حين استدار ليأخذ احدى الاواني شاهد الميراك شخصا غريبا منعكسا عليها ·

• • •

تراجعت مارغريت لتختبىء ولكن عبثا فقد راها .

« تعال واخرج انت الذي يختبىء بأمكانك ان تساعدني في عملي » · ولكنها لم تتحرك فمد يده وسحبها بقوة ·

« من انت يا عزيزتي وكيف وصلت الى هنا ؟ » سالها برقة مزيفة شعرت مارغريت وكأن الشيطان يدعوها للمثول امامه · تمالكت نفسها لتخفي فزعها ·

« انا يا سيدي غريبا · كنت متضجرة ولذلك قررت ان استكشف القصر في المنطقة المحظورة علينا وانتهيت الى هذه الغرفة وعندما شعرت بالتعب نمت على هـ السرير وعندما سمعت حركة في الباب اختبأت هنا لكي لا انكشف فتعاقبني مربية الاطفال » ·

« الم تخافي من الحشرات والجرذان » ·

« لا يا سيدي ولكني اخاف العقاب الشديد » وهنا سمعت صوت الذئب وهو يقترب من القصر ·

« اذن يجب معاقبتك لعملك هذا ، ولكنك جميلة لذلك عقابك سيكون سهلا وانا بحاجة اليك في اختبار تجاربي وما دمت قد اكشفت السر عليك ان تبقي في هذه الغرفة · سوف تساعديني في القضاء على حاكمنا العزيز ومن بعده السيد مارديان » ·

« مارجان ! » لم تستطع اخفاء الامر اكثر من ذلك · قالت اسمه وكلها عاطفة وخوف على مارديان ·

انتفض الميراك وشك بالامر · حملق في عينيها بغضب وقال :

« اذن هكذا الامر · فتاة جميلة تأتي تستكشف في الظلام وتصل الى الغرفة السرية ويبدو انها تعرف اكثر مما ذكرته لي · الان يا عزيزتي سوف تخبريني بالباقي ! » ·

لم يكن امامها الا ان تخبره · وحين رأت عينيه ادركت الخطر ، واحست بالفرق الشاسع بين عينيه

وعيني مارديان الحقيقي . عيناه كلها حقد وكراهية اما عينا مارديان فكلها طيبة ومحبة .

وهنا بدأ المفعول يفور بسبب التفاعل وظهر بخار ملون ذو رائحة عطرة شعرت بان الميراك سيطر على ارادتها فلم تستطع السيطرة على نفسها اكثر من ذلك فركضت باتجاه الشباك ولكن الميراك مسكها ولم يدعها تصيح .

« اذن هذه هي المسألة ايتها البريئة الصغيرة . ان مارديان يختبىء ليرسلك الى هنا تتجسسين على اعمالي . في الواقع انه غبي لانه قدم لي الطعم الذي سوف اصيده به » .

ضربت مارغريت الميراك بيديها ورجلها ولكن دون فائدة وصاحت تحذر مارديان بعدم الاقتراب ولكن الميراك وضع يده على فمها .

تحرك الميراك نحو الشباك وهو يمسك بها وكان الذئب قد وصل في هذه اللحظة فزمجر وكشر عن انيابه .

« تعال يا عزيزي مارديان . تقدم والا قتلت صديقتك البريئة » .

كان الميراك يصوب سكينا على رقبة مارغريت فلم يستطع الذئب فعل اي شيء .

« تعال يا عزيزي وادخل الان بكل هدوء » .

١٥

دخل جان الغرفة ورأى الحاكم وقد خلـــع تاجه وملابسه الرسمية • كان يرتدي ثوبا فضفاضا من الفرو الناعم وكان يجلس بالقرب من نار الموقد والـــى جانبه صبي يعزف على العود • تعرف جان عليه حالما شاهده • انه دنس • لابد انه جاء ليشغل الحاكـــم كي لايشعر بتأخر جستن •

وجد جان منضدة في ركن من الغرفة وعليهـــا قدح مصنوع من الذهب وقارورة نبيذ • وقد كانـــت هناك ستارة تخفي وراءها منضدة اخرى عليها مجموعة من علب الاعشاب والبهارات وتساءل جان مع نفســه ياترى في اية علبة يكمن السم الذي يدسه الميـــــراك للحاكم ولايشكل خطرا ملحوظا على الصبيان عندمـا يتذوقونه •

وقف خلف الستارة ووضع النبيذ الذي جلبـــه معه في قدر صغير لغرض غليه ولكنه لم يضف اليـه شيئا •

قال الحاكم لدنس : « اعزف مقطوعة اخيـــرة ثم اذهب فالوقت متاخر • وانت كذلك ياجستن استعجل يافتى » •

قرر جان ان يضع المدالية في القدح الذهبـــي فهي افضل طريقة يقدم بها المدالية الى الحاكم دون ان يراها احد • وسكب قليلا من النبيذ ليغطيها • استدار ليلقي نظرة على الحاكم واذا بدنس ينتفض من مكانـه مفزوعا « سيدي هذا ليس جستن انه غريب انظـــر لقد جلب معه نبيذا ولم يلمس الاعشاب ولاحتـــى الحليب ! » ••

« تعال امامي ايها الصبي » امر الحاكم دون ان يظهر اي تعبير على وجهه •

وقف جان الحاكم وهو يرتعش خوفا • هل

يقول الحقيقة امام دنس ماذا يفعل ؟

« نعم ياسيدي الحاكم انا غريب عن هذا المكان واسمي هانز » ..

دخل حارسان وامسكا بجان .

« ايها الحرس ! » صاح الحاكم

وفي هذه اللحظة فضل جان ان يقول كل شيء للحاكم فهذه الفرصة لن تعوض رغم وجود دنس والحارسين .

« لاتدعوه يسكب النبيذ ! » قال الحاكم بحدة .

حدث كل شيء بسرعة غير متوقعة . وكان هناك صمت مخيف لحس جان شفتيه فقد شعر بدنس ينتفض

« هل حقيقة انك غريب إخبرني من انت ومن هو والدك ؟ »

« نعم ياسيدي انا غريب عن هذه البلاد وابي لن تعرفه هذا لايهم الان . سوف اقول الحقيقة ولكنك ستفهم بشكل افضل لو تناولت هذا القدح ففيه رسالة من السيد ماردیان » .

عبس الحاكم وقال « من ماردیان ؟ لقد كان هنا منذ لحظات . ماهذا الكلام الفارغ ؟ ما هي هذه الرسالة التي بعثها في النبيذ ؟

« لا ! لا ! ان الذي جلبت النبيذ » تردد جان في اتخاذ القرار هل يقدمها له الان وهنا قفز من مكانه وصاح بقوة «لا» اذ أن الحاكم طلب من احد الحرس استدعاء ماردیان .

اشار الحاكم للحارس ان يقف وقال «ياترى ماهي هذه الرسالة التي بعثها ماردیان ولايريد ان تقدم بوجوده او لايجرؤ على ذكرها امامه ؟ » .

« ان الرسالة في النبيذ ياسيدي ! » صاح جان وتقدم خطوة ليناول القدح للحاكم ولكن الحارسين سحباه بقوة واذا بالقدح يقع على الارض ويسكب النبيذ وتتدحرج المدالية .

حين راها الحاكم جمد في مكانه . لم يتحرك ولم يقل شيئا وظل يحملق باتجاه المدالية ثم مد يده

يتلمس المدالية المعلقة حول رقبته ·

« سيدي تلك هي الرسالة · هل لي ان اكلمك الان ارجوك ؟ »

قال جان ذلك وهو يلهث ·

الخدم لرفع الحاكم الذي قرر ان ينزل الجميع الى أصبح جناح الحاكم مليئاً بالحركة والضوضاء دخل

لم يقاطع الحاكم حديث جان وهو يسرد له تفاصيل القصة · كان الحارسان قد ابتعدا ليقفا قرب الباب · وناول دنس المدالية للحاكم ·

انهى جان حديثه قائلا : ان اختي الان في الغرفة السرية تنتظر قدوم الذئب ارجوك ياسيدي لو جئت معي ونزلنا جميعا الى الغرفة لرأيت بنفسك ان القصة حقيقية · لن تصدق الا اذا رأيت الذئب يتحول الى ماردیان ارجوك انزل الى الغرفة اتوسل اليك ·

استمر جان يلح على الحاكم بالنزول الى الغرفة

ادار الحاكم المدالية بين يديه وقرأ الكتابة المحفورة عليها وتذكر اهميتها بالنسبة له ولماردیان رفع رأسه

وقال :

« لولا هذه المدالية لما استمعت الى حديثك ولكني اذا اتضح بانك كنت تكذب فعقابك سيكون عسيرا »··

نادى الحاكم على رئيس الحرس وطلب منه ايقاظ عدد من الجنود والخدم وكذلك طلب احضار ماردیان فهو مازال ماردیان الحقيقي بالنسبة له · السرداب وانتظار الذئب في الغرفة السرية · وبينما هم يتهيأون سمعوا صوت صبي يصيح مفزوعا ··

دخل الصبي غرفة الحاكم · انه جستن · عرفه الجميع وقد دهشوا لمنظره · كان وجهه مزرقا من اثر الكدمات والضربات وقال بصوت مرتجف ·

« سيدي الحاكم هناك ذئب في سرداب القصر · لقد كنت في اسفل القصر عندما سمعت صراخ فتاة · وحين نظرت وجدت السيد ماردیان وهو يمسك بالفتاة ويحميها بسكين طويلة من الذئب الكبير » ·

١٦

داخل الغرفة السرية في اسفل القصر ، كانت اللحظة المخيفة تبدو وكأنها ستدوم الى الابد · دخل الذئب بامر من الميراك وتخلى عن محاولة الانقضاض عليه لان مارغريت كانت تحت رحمته ·

« ادخل بهدوء ولاتحاول خداعي والا فانت تعرف ماذا سيحصل لصديقتك الصغيرة » قال الميراك بكل هدوء وثقة ·

كان الساحر قد وضع يده على فم مارغريت كي لاتصبح وحين سحبها هددها بعدم الصراخ ·

« على اية حال فلن يسمعني احد » قالت تحاول ان تهدئ من نفسها فقد كانت خائفة على الذئب وكانت تعلم جيدا بان الميراك لن يدعه يهرب وقد يقتله قبل شروق الشمس ·

« سوف نذهب من هنا ولكن قبل ذلك يجب ان اتاكد من انك لن تهرب ياعزيزي مارديان » وخرج الثلاثة من الغرفة الى السرداب · وامر الميراك الذئب ان يجلس في اقصى الممر بينما سحب مارغريت نحو السلم الصخري المؤدي الى ممرات اسفل القصر ·

اما مارديان ــ الذئب فقد نفذ اوامر الميراك خوفا على مارغريت وقد شعرت هي انه مازال محتفظا بكرامته ولاحظت ان اذنيه منتصبتان وتذكرت كلبها « تري » الذي كان يفعل نفس الشيء عندما يسمع اصواتا لايمكن للبشر سماعها ·

« الى اين تقودني » حاولت مارغريت ان تبدو غير مكترثة ·

« الى غرفتي كي استجوبك على انفراد · سوف تخبريني اين هي المدالية ؟ » ··

فكرت مارغريت بجان . اذا جاء قبل ان يخرجوا من السرداب سوف ينكشف امرهما ولن يكون هناك اي مخرج لمشكلتهما . ظنت انها سمعت صوتا ولكن لم يدخل احد . ربما جان قادم والا فلماذا هي اذنا الذئب منتصبتان هكذا .

١٧

بدا صراخ مارغريت للرجال صورة لما ذكره جستن .

هناك في السرداب وعلى الدرجات الاولى من السلم المؤدي الى الممر وقف رجل عرفه الجميع على انه مارديان الحقيقي مع فتاة ملتصقة به وفي مواجهتهما الذئب الكبير . كان مسلحا بسكين طويلة وكانت الفتاة تصرخ برعب فهموا انه بخصوص الميراك . بعض الحاضرين اعتقدوا مثلما كان كرسين يعتقد بان الذئب الكبير هو الميراك الذي اختفى منذ زمن .

الميراك الذي اخذته الدهشة بسبب مفاجاة فتح الباب تمالك نفسه وصعد درجة اخرى وصاح باعلى

صوته .

« النجدة ! النجدة ! اقتلوه انه الذئب الكبير اقتلوه ! » ..

وفي لحظة تأهب الجنود لقتله صرخ جان بيأس « لا ! » ..

وكذلك صاح بهم الحاكم : « توقفوا ! اخفضوا سيوفكم » .

وبعد ان اصدر الحاكم امره حدثت ثلاثة اشياء في آن واحد . الميراك الذي بدأ متوحشا استدار ليواجه سيده مستغربا من امره وخلال استدارته ارخى قبضته على مارغريت . وحين وجدت مارغريت الفرصة مناسبة ركضت الى الذئب وبدأت تمسد على ظهره وهي تصرخ « كلا ! كلا ايها الذئب ! »

اذ ان الذئب عند رؤيته للحاكم والحرس كان سيقفز على الميراك ويمزقه اربا ولكن مارغريت منعته خوفا عليه من سيوف الجنود . فذهب الذئب ليجلس بين قدمي الحاكم حالما انزله الخدم الى الارض .

وفي لحظة الصمت التي تلت هذه الاحداث صاح الميراك :

« شعوذة ! ان هذه الفتاة ساحرة ! هذا سحر شرير ! لقد وجدتها في غرفتنا السرية يا اوثو ! لو ترى الاشياء التي جلبتها معها الى الغرفة لقد عرفت مصدر مرضك » .

« انه سحر حقا » قال الحاكم ، « وبالتاكيد انه شرير . حسنا سوف نتحقق من الحقيقة » ثم قال موجها حديثه لمارغريت وبكل رقة تعالي هنا بجانبي ايها الطفلة » .

وقف الطفلان متلاصقين ببعضهما . فجأة تغيرت مغامرتهم سواء كانت حلما او سحرا او حقيقة ، تغيرت لتصبح شيئا فريدا ورائعا ومخيفا في نفس الوقت .

بدا الحاكم هادئا وشاحب الوجه . كان قد ارتدى رداء مليكا كبيرا فوق ردائه خوفا من البرد . ظل طيلة الوقت مركزا نظره على الذئب وحين تكلم

لم يرفع صوته فساد جو من الاحترام والسكون وكأن الناس توقفوا عن التنفس .

تكلم مع الميراك بكل احترام : « انت ايضا اتهمت بالشعوذة. لاتتكلم الان . فانت مع هذا الحيوان وهذين الطفلين ستخضعون للاختبار » .

ثم تكلم مع الذئب : « وانت اذا كنت حقا ما يدعيه هذان الطفلان فلاتخشى شيئا . ولكن شعبي يخشاك لذلك ولحين وضوح الحقيقة سوف تقيد بالسلاسل حتى الصباح . اجلبوا السلاسل وقيدوهما»

وهنا بدأ الساحر المزيف بالاحتجاج ولكن الجنود بدأوا بتقييده ولكن برقة اذ انه مازال السيد النبيل مارديان بالنسبة لهم اما الذين قيدوا الذئب فعلوا ذلك وهم يرتجفون خوفا منه او ربما لانهم مازالوا يخافون من الميراك . كان الحاكم مازال ممسكا بالمدالية ولكن دون ان يراها احد قال مخاطبا الجميع .

« سوف نذهب الان الى الحديقة العليا لكي ننتظر ظهور الفجر وسيبقى الطفلان معي » كان الظلام دامسا . وضع الخدم مقعد الحاكم قبالة اشجار البرتقال اما الميراك والذئب فوقفا متقابلين وجها لوجه . لم يتكلم احد . ومر الوقت . استدار الميراك باتجاه الحاكم وكأنه يريد ان يقول شيئا لكن الحاكم قال له بكل هدوء :

« ياصديقي احتراما لك ، الزم الصمت حتى نهاية الاختبار . فهذا هو اختبار للاخلاص فما الذي يخشاه مارديان الحقيقي ؟ واذا كنت حقا صديقي سوف اعوضك فيما بعد عن كل هذا » .

لم يكن هناك شيء امام الساحر الا الصمت .. ولكن كان ممسكا بشيء فوق صدره ، وكانت شفتاه تتحركان وكأنه يحاول ان يعمل سحرا جديدا .

وفي مكان ما في القرية البعيدة سمعوا صياح الديك . رفع الذئب رأسه . تحرك الميراك فجأة وكأنه يشعر بالخوف .

نظر الطفلان الى بعضهما الاخر . كلاهما تذكر مع نفسه التحول الذي حدث في الكوخ تذكرا شعور

الذئب بالعار وكلامه عن المعاناة • فالتحول من الذئب الى مارديان قد لايكون مخيفا ومهينا مثل الـــذي سمعاه في الكوخ ولكنهما تذكرا شيئا اخر •

« اذهب واخبره » همست مارغريت في اذن جان

انحنى جان على الحاكم وهمس شيئا في اذنه •

ابتسم الحاكم وبلا تردد رفع رداءه الملكي واعطــاه لجان الذي ركض حيث كان الذئب يقف وغطى بــه الذئب •

صاح الديك مرة اخرى •• خفت بريق النجــوم وبدات السماء تغير لونها • واخيرا طلع ضوء الفجـر وبزغت الشمس • كان قرص الشمس مشعا فلم يستطع احد ان يرى شيئا • وحدث كل شيء في لحظات •

سقطت السلاسل من على الميراك ، ومن الذئب •

لم يكن هناك ذئب • حيث كان يقــف الذئــب وقف مارديان طويل القامة مرتديا بكل كرامة وكبرياء الرداء الملكي • وعلى بعد خطوة منه وكانه صـــورة في مراة وقف مارديان المزيف ماسكا بقبضته الكيس الجلدي الصغير الذي مزق عند سقوط السلاســل فسال مثل المسحوق الرملي ملوثا ملابسه ويـــده وقدميه حتى انه تناثر على الارض • حاول الميــراك ان يجمع بعضا منه وهو ينطق بعبارات غير مفهومــة وبدأ دخان ملون يتصاعد من الارض •

وقف الاثنان متواجهين للحظات • ثم رفـــع الساحر رأسه وصرخ صرخة قوية تحولت الـــى عواء وفيما هو يصرخ كان الجميع يحملق برعـــب وبدا للناظرين وكانه يصغر ثم ينكمش ثم يسقـــط على الارض تحت قدمي مارديان •

« امسكوه » صاح الحاكم • تقدم الرجال ولكنهم لم يجدوا شيئا فقد احترقت الارض وكومة ملابســه وسكينه الطويلة •

لمح الجمع شيئا يركض باتجاه الضفة الاخرى من النهر هاربا الى اعماق غابة الذئب • ومفجــأة انكسر صمت الدهشة • ظهر جمع من الصبيان يتقدمهم

الامير كرسبن وهم يتقدمون نحو الحديقة العليـــا متهيئين للصيد ·

صاح بعضهم « هل رأيتموه ؟ »

« لا انه هو ·· انه الذئب ·· سوف تتمتع اليوم بصيد كبير ·· هيا الى الصيد » « هيا الى الصيد » صاح اخر ·

وفجأة خفتت اصواتهم فهناك امام المقعد الذي حمله خمس سنوات وقف الحاكم اوثو مبتسما وعنـد قدميه كان مارديان منحنيا وهو يمسك يد صـديقه · ثم رفعه الحاكم ليقف وحياه بقبله وكأنهما في احتفـال فوضع حول رقبته المدالية التي كتب عليها «المخلص»·

وهنا بدأ الصياح · فالرجال الذين لم يفهموا الا القليل ولكنهم شاهدوا بما فيه الكفاية ليعرفـــوا بانهم شهدوا العجائب ، تعانقوا وضحكوا وحـــيوا الحاكم ومارديان اللذين كانا يقفان جنبا الى جنـــب ويبتسمان ·

« ابي ؟ » صاح الامير كرسبن « هل شفيت ؟ »

وعندما لم يلق جوابا قال « الايخبرني احد عما يجري هنا ؟ مارديان ماذا حصل ؟ مارديان ؟ مارديان ! »

ولكن مارديان الذي هز رأسه كان يبكي مـرة اخرى ولكن بدموع مختلفة ·



الوداع

عبر الطفلان جسر القصر وكان النعاس مازال باديا عليهما بسبب الاحتفال .. وكانا يشعران بالسعادة لروعة احتفالات القصر . وعندما وصلا الى الطريق استعدادا لالقاء نظرة اخيرة . كان مارديان واقفا في الطرف الاخر من الجسر رافعا يده ملوحا لهما . كان القصر زاهيا باعلامه وشعار المملكة يرفرف من اعلى برج في القصر .

ومن اتجاه غابة الذئب سمعا صوتا يناديهما

باسميهما .. كان ذلك والدهما : « مارغريت .. جان، ها هو قادم من الطريق باتجاههما صائحا « حان الوقت للذهاب » .

ركضا باتجاهه . كان اسفلت الشارع حارا ملتهبا بسبب اشعة الشمس . انعكس ضوء الشمس على شباك السيارة الامامي ، والتي كانت تقف في موقف السيارات الخاص . وخلفهما انتصبت اثار قصر كان عظيما يوما ما .

